



النَّوَاطِلُ الأدَبِيَّةُ

مجلة نصف سنوية محكمة ومفهرسة

تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والتّقد والترجمة

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن
جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

الرقم التسلسلي: 19 / جوان 2022

رقم المجلد: 11 / رقم العدد: 02

ISSN: 1112-7597 / رتد م د ا: EISSN 2588-2333

رقم الإيداع: 2007-4999 / Dépôt légal

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باجي مختار - عنابة -
كلية الآداب واللغات



التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة ومفهرسة
تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة
تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

إدارة المجلة: أ.د / عبد المجيد حنون
رئيسة التحرير: أ.د / سامية عليوي

أمانة التحرير:

- أ.د / سامية عليوي allioui.samia620@gmail.com
- أ.د / نظيرة الكنز kenzenadira@yahoo.fr
- د / خضرة حمراوي hamraouikhadra86@gmail.com
- أ / سليم لسود la.salimhoho@gmail.com

رقم المجلد: 11 / رقم العدد: 02 الرقم التسلسلي: 19 / جوان 2022

منشورات مخبر الأدب العام والمقارن

رتمد: ISSN: 1112-7597 / رتمدإ: EISSN 2588-2333

رقم الإيداع: Dépôt légal: 2007-4999



العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب واللغات

جامعة باجي مختار / عنابة

ص.ب. 12 عنابة - 23000 / الجزائر

الموقع الإلكتروني: lgc.univ-annaba.dz

البريد الإلكتروني: ettawassol.eladabi@gmail.com

التّقييم الدولي الموحد للمجالات: ISSN 1112-7597

ر. ت. م. د.إ: EISSN 2588-2333

رقم الإيداع القانوني: 2007-4999



الهيئة الفخرية:

1/ أ.د. مختار نويوات (جامعة باجي مختار - عنابة-) / الجزائر

2/ أ.د. بيار برونال (جامعة الصوريون) / باريس

3/ أ.د. حسام الخطيب (جامعة قطر) / قطر

4/ أ.د. يوسف بكار (جامعة اليرموك) / الأردن

لجنة العدد العلمية:

- | | |
|--|--|
| 15- أ.د. بشير إبرير (ج. عنابة) / الجزائر | 1- أ.د. عبد المجيد حنون (ج. عنابة) / الجزائر |
| 16- أ.د. بينيديكت لوتوليبي (ج. لاريونيون) / فرنسا | 2- أ.د. محمد إبراهيم حور (الجامعة الهاشمية) / الأردن |
| 17- د. حميد بوحبيب (ج. الجزائر 2) / الجزائر | 3- أ.د. رشيد شعلال (ج. عنابة) / الجزائر |
| 18- د. ن. شمناد (جامعة كيرالا) / الهند | 4- د. محمود أحمد عبد الغفار (ج. القاهرة) / مصر |
| 19- أ.د. عباس بن يحي (ج. المسيلة) / الجزائر | 5- أ.د. صالح ولعة (ج. عنابة) / الجزائر |
| 20- أ.د. محمود يوسف حسينات (ج. اليرموك) / الأردن | 6- أ.د. عبد الحليم حسين الهروط (ج. العلوم الإسلامية العالمية) / الأردن |
| 21- أ.د. رشيد قريع (ج. قسنطينة) / الجزائر | 7- د. يحي غبن (جامعة الأقصى بغزة) / فلسطين |
| 22- د. حافظ عبد القدير (ج. بنجاب- لاهور) / باكستان | 8- د. عباس يداللهي فارساني (ج. تشمران- الأهواز) / إيران |
| 23- أ.د. حفيظ ملواني (ج. البليدة) / الجزائر | 9- أ.د. صالح بورقي (ج. عنابة) / الجزائر |
| 24- أ.د. محمد القرعان (ج. اليرموك) / الأردن | 10- أ.د. نادية هناوي سعدون (ج. المستنصرية) / العراق |
| 25- أ.د. سميرة صويلح (ج. عنابة) / الجزائر | 11- أ.د. مليكة بن بوزة (ج. الجزائر 2) / الجزائر |
| 26- أ.د. وحيد بن بوعزيز (ج. الجزائر 2) / الجزائر | 12- أ.د. هالة بن مبارك (ج. تونس) / تونس |
| 27- أ.د. جلال خشاب (ج. سوق أهراس) / الجزائر | 13- أ.د. نصر الدين بن غنيسة (ج. بسكرة) / الجزائر |
| 28- أ.د. إدريس اعبيزة (ج. محمد الخامس/أكسال) | 14- أ.د. أحمد يحي علي (ج. عين شمس- القاهرة) / مصر |
| الرباط/ المملكة المغربية | |

- 44- د. مريم البادي (جامعة نزوى) // سلطنة عُمان
- 45- د. حيدر غيلان (جامعة صنعاء) // اليمن، و (جامعة قطر) // الدوحة.
- 46- د. إشراق عبد النبي (جامعة البصرة) // العراق
- 47- د. علي الخراشبة (جامعة عجلون الوطنية) // الأردن
- 48- د. عمر الكفاوين (جامعة فيلادلفيا) // الأردن
- 49- د. عبد القادر فيدوح (جامعة قطر) // الدوحة
- 50- أ.د. بشري تاكفراست (جامعة القاضي عياض، مراكش) // المملكة المغربية
- 51- د. مصطفى شعبان (كلية اللغات ، جامعة القوميات) // شمال غربي الصين
- 52- أ.د. محمد بكادي (م.ج. تامنغست) // الجزائر
- 53- أ.د. مصطفى كيجل (جامعة باجي مختار-عناينة) // الجزائر
- 54- أ.د. مديحة عتيق (ج. سوق أهراس) // الجزائر
- 55- أ.د. نظيرة الكنز (ج. عناينة) // الجزائر
- 56- أ.د. سامية عليوي (ج. عناينة) // الجزائر
- 57- د. شريف الدين بن دوبة (جامعة طاهر مولاي-سعيدة) // الجزائر
- 29- أ.د. عبد الرحمن تيرماسين (ج. بسكرة) // الجزائر
- 30- هادي نظري منظم (ج. تربيت مدرّس) // إيران
- 31- أ.د. فلة بن عابد (ج. عناينة) // الجزائر
- 32- المعز مهدي علي محمد (ج. سنار) // السودان
- 33- هاني إسماعيل أبو رطيبة (ج. بني سويف) // مصر
- 34- Abou-Agag Naglaa (Alexandria University)/Egypt
- 35- Ashraf Salih (University of Ibn Rushd)/ Netherlands
- 36- Al-Harabsheh Ahmad (Yarmouk University)/ Jordan.
- 37- د. سلمى عطالله (جامعة سيّدة اللّويزة) // لبنان
- 38- Barbara Michalak - Pikulska (The Jagiellonian University Krakow/ Poland) Polonia.
- 39- Daoudi Anissa (University of Birmingham)/Uk.
- 40- Ishakoglu Omer (Istanbul University)/ Turkey
- 41- karbia karima (جامعة سطاتم بن عبد العزيز) // المملكة العربية السعودية
- 42- د. ميس عودة (جامعة الاستقلال) // فلسطين
- 43- Boutaghou Maya (University of Virginia)/ USA

شروط النشر في المجلة

الشروط الشكلية:

1. يُكتب البحث وفق النموذج* المعدّ سلفاً، بعد تحميله من صفحة المجلة على البوابة الإلكترونية للمجلات العلمية (ASJP) من خلال النّقر على خانة "تعليمات للمؤلف".
2. يُكتب البحث في نسخة إلكترونية بصيغة word في صفحة مقاسها (24×16 سم)، مع أطراف هامشية للصفحة على الشكل التالي: 2.5 سم من أعلى الصفحة، و2 سم من أسفل الصفحة ومن يمينها وشمالها.
3. لا يجب أن يتجاوز حجم المقال 25 صفحة و لا يقلّ عن 15 صفحة.
4. تكتب البحوث العربية بخط (Traditional Arabic) حجم 16، والهوامش 14، أمّا البحوث الأجنبية، فتكتب بخط (Times New Roman) مقاس 14، والهوامش 12.
5. تكون الهوامش آليّة وفي آخر المقال، ويوضع رقم الهامش في المتن بين قوسين مرتفعاً عن سطر الكتابة، أما في الحاشية فيكون رقم الهامش من غير قوسين وفي مستوى سطر الكتابة.
6. تكون المسافة بين الأسطر في المقالات المكتوبة بالعربية 1 سم، أمّا البحوث المكتوبة باللغتين الفرنسيّة أو الإنجليزيّة فتكون المسافة 1.15 سم.
7. يُرفق البحث بملخص باللّغتين العربيّة والإنجليزيّة، (لا يقل عن خمسة أسطر ولا يزيد عن العشرة)؛ تحدّد فيه الإشكالية وأهمّ العناصر والنتائج؛ ويُرفق بكلمات مفتاحية (باللّغتين) لا تقلّ عن خمس كلمات ولا تتجاوز العشرة.
8. تُخصّص الصّفحة الأولى من المقال لكتابة العنوان بالبنط العريض (بحجم 20 إن كان بالعربيّة و18 إن كان بغيرها) وسط السّطر، ويكون تحته من جهة اليسار اسم

المؤلف (اسم ثلاثي على الأكثر)، ثم تحته اسم المؤسسة أو الجامعة التي ينتمي إليها الباحث، ويليه البريد الإلكتروني.

9. باقي الصفحة الأولى يخصص لكتابة الملخص باللغتين جنباً إلى جنب (كما هو موضح في النموذج المرفق)* بحجم خط 12 بالعربية و 11 بالإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية.

10. تكتب العناوين الرئيسية في المقال بحجم 16 (غليظ Gras) من أول السطر، أما العناوين الفرعية فتزاح عن أول السطر بمسافة 1 سم، وتكتب بحجم 14 (غليظ Gras).

11. إن كان المقال يحتوي على أشكال وجداول فالأولى أن تكون في شكل صورة لتفادي وقوع أي خلل، وإلا فتوضع في آخر المقال مع وضع علامة للإحالة عليها.

12. لا يترك فراغ قبل الفاصلة والنقطة وعلامات التعجب والاستفهام، ويكون الفراغ بعدها وجوباً، كما لا يترك فاصل بين الواو وما بعدها.

13. يكون رأس الصفحة آلياً ومتمايزاً بين صفحة فردية وزوجية كما هو مبين في النموذج المرفق*. يكتب في رأس الصفحة الأولى اسم المجلة ورقم المجلد والعدد وسنة الإصدار... وفي التالية يكتب اسم صاحب المقال (اسم ثلاثي على الأكثر) وعنوان البحث (مختصراً).

الشروط الموضوعية:

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية الأصيلة التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، شريطة ألا تكون منشورة بأية صيغة كانت، أو مقدمة للنشر.
2. يُرفق المقال بتعهد موقع من طرف المؤلف يؤكد عدم نشر المقال، أو تقديمه للنشر في أية جهة أخرى.
3. تنشر المجلة البحوث باللغة العربية أساساً، وباللغتين: الفرنسية أو الإنجليزية.

4. تُنشر المقالات المترجمة شرط أن ترفق بالنص الأصلي.
5. يتحمّل الباحث مسؤولية تصحيح بحثه وسلامته من الأخطاء.
6. تخضع كلّ البحوث للتحكيم العلمي، ويخطر الباحث بالتّأج.

إجراءات النشر:

1. لا تعبّر المقالات بالضرورة عن رأي المجلة.
 2. يخضع ترتيب الموضوعات لاعتبارات فنية لا غير.
 3. لا يشترك في المقال الواحد أكثر من مؤلّفين اثنين (02).
 4. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها نُشرت أم لم تُنشر.
 5. يُشترط لنشر المقال أن يُدرج الباحث قائمة المصادر والمراجع (ببليوغرافيا المقال) منفصلةً عبر حسابه على البوابة.
 6. لا يحقّ للباحث الذي نُشر مقالته بالمجلة أن يُعيد نشره مرّة أخرى بأيّ صيغة كانت، إلّا بإذن كتابي من رئيس التحرير.
 7. حقوق النشر والطّبع محفوظة لمجلة "التّواصل الأدبي" ولجامعة باجي مختار/عناية.
- * ترسل البحوث على عنوان المجلة عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية (ASJP) بصفة حصريّة، عبر هذا الرّابط:

<http://www.asjpcerist.dz/en.PresentationRevue/82>

* للاستفسار الرّجاء التّواصل عبر البريد الإلكتروني للمجلة:

ettawassol.eladabi@gmail.com

تقييم المقالات:

1. تُعرض المقالات على للتحكيم السري عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية حصراً.
2. كلّ مقال لا يحترم الشّروط الشّكلية في كتابته يتمّ رفضه تلقائياً ولا يحال على التّحكيم.

3. في حال استيفاء المقال لشروط النشر، تقوم هيئة التحرير باختيار محكمين اثنين، وقد تستعين بثالث لترجيح أحد الرأيين إن كان بينهما اختلاف في قرار القبول أو الرفض.
4. تكون ملاحظات المحكمين إما بالقبول، أو بالقبول مع تعديل كبير أو بسيط، أو بالرفض.
5. لهيئة التحرير صلاحية قبول أو رفض أي مقال أو بحث دون إبداء الأسباب، وذلك وفق ما تقتضيه الموضوعية العلمية.

أحكام ختامية:

1. العضوية في إدارة المجلة طوعية.
2. النشر في المجلة مجاني.
3. لا يُدفع للباحث مكافأة عن نشر بحثه في المجلة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	13-11
أ.د/ سامية عليوي	
1. د/ بلال حمودة	47 - 14
أدب السّمر في الثقافة العربية:	
مدخل تاريخي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي	
Samar literature in arab culture	
Historical introduction from pre-islamic to the abbasid era	
2. د/ مريم البادي	69 - 48
تسريد التّابو في روايات الكاتبة بدرية الشّحي	
The Taboo in the Novels of Badria AlShihi	
3. د/ شفيق بوطرفة	105 - 70
الجزائر في مذكرات الأسرى الأوروبيين - قراءة في نماذج -	
Algeria in European captives' memoirs -models' reading-	
4. د/ رمضان رضائي	132 - 106
الصّلة بين الثقافات القديمة من منظار الشّعر	
The relationship between ancient cultures	
from poetry point of view	

5. محمد رزيجي و د/ هادي نظري منظم و د/ خليل برويني 176-133

ثنائية الانفتاح والانغلاق على الآخر عند المفكرين النقاد الإيرانيين

"داریوش شایگان نموذجاً"

The duality of openness and closing to the other according to Iranian critics, Dariush Shaigan, as a model

6. د/ ليزا سهير مجاج ؛ ترجمة: أ.د/ مديحة عتيق 213-177

الأدب الأمريكي - العربي: أصوله وتطوّراته

Arab-American literature:

Origins and developments

الكلمة الافتتاحية

بقلم الأستاذة الدكتورة سامية عليوي

نصدر عددنا التاسع عشر بعد أن رافقت قرائي عبر خمسة عشر محطة، كنتُ أسعد فيها بكتابة افتتاحية كلِّ عدد، كما لو أنني أكتب رواية جديدة حملت قرائي خلالها عبر عناوين مقالات مختلفة، وجُبت معهم عوالم متباينة بين الشعر والرواية والترجمات الأدبية.

يحمل عددنا هذا ست مقالات فقط، قليلة في عددها، غير أنّها ثقيلة بمحتواياتها.

نستهلّ هذا العدد بمقال بعنوان 'أدب السمر في الثقافة العربية - مدخل تاريخي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي-'؛ تتبّع فيه الباحث جملة من النصوص الأدبية والتاريخية التي تتحدث عن أدب السمر -الذي لم ينل حظّه من الدّراسة حسب الباحث-. كما تتبّع الباحث مجالس السّمر في الأدب العربي وبعض أعلامه ومصنفاتهم، وتناول ظهور هذا الجنس الأدبي وسيرورته وتطوّره في الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي.

ثاني مقال يحمل عنوان 'تسريد التّابو في روايات الكاتبة بدرية الشّحي'؛ تناولت فيه الباحثة مسألة تسريد التّابو في أعمال الرّوائية العمانية بدرية الشّحي، وهي: «الطواف حيث الجمر»، و«فيزياء (1)»، و«كارما الذئب - فيزياء (2)». وذلك من حيث بنية الشّخصيّة، وعلاقتها بعادات المجتمع وتقاليده، إضافة إلى علاقتها بالشّخصيّات الذّكوريّة، والمصير الذي آلت إليه. وخلصت الباحثة إلى أنّ التّابو في نصوص المدوّنة ثابتٌ في بنيته وتقنياته، لارتباطه بتصورات ذهنيّة خارج المحكيّ نفسه.

ثالث مقال يحمل عنوان 'الجزائر في مذكرات الأسرى الأوروبيين - قراءة في نماذج-'؛ تتبّع فيه الباحث صورة الجزائر من خلال مذكرات الأسرى الأوروبيين ومؤلفاتهم ويوميّاتهم التي أسهمت في رسم الواقع الجزائري في مستوياته الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، والدينية. إذ تمكّنت الجزائر -بحكم هيمنتها على حوض البحر الأبيض المتوسط، وبحكم الحروب التي خاضتها فيه- من أن تأسر المئات من الأوروبيين الذين تباينوا في رسم صورتها سلبا وإيجابا -في فترة الحكم العثماني-. وقد أكّد الباحث على أهمية كتابات الأسرى الأوروبيين ومذكراتهم في تمثيل صورة الجزائري بفضل ما تحويه هذه المذكرات واليوميات من أحداث ومغامرات ومشاهد متنوعة عن الجزائر، أسهمت إلى جانب مختلف النصوص الرحلية الأوروبية في تقديم صورة متكاملة عن الجزائر في فترة الوجود العثماني. وتسليط الضوء على مختلف مناحي الحياة: السياسية، الاجتماعية، الدينية، الثقافية... من منظور أوروبي غربي.

رابع مقال يحمل عنوان 'الصّلّة بين الثقافات القديمة من منظار الشّعرا'، وقد تناول فيه الباحث صراع الحضارات أو تصادمها، مركّزا على الصّدام بين العرب وأصحاب الحضارات الأخرى خاصّة بين العرب والفرس في عصور الإسلام الأولى. ويؤكد الباحث على أنّ هذا الصّدام كان ثقافيا قبل كلّ شيء، ولم يكن إيديولوجيا ولا اقتصاديا؛ وقد تجلّى في الشّعرا الذي أثّر فيه تأثيرا كبيرا، ممّا أدّى إلى ظهور أغراض شعرية جديدة؛ وقد ركّز المقال على موضوع الصّدام بين العرب والفرس في العصر العبّاسي من الوجهة السياسية والأدبية.

أمّا المقال الخامس، فيحمل عنوان 'ثنائية الانفتاح والانغلاق على الآخر عند المفكرين النقاد الإيرانيين' داريوش شايغان نموذجًا". وقد تناول فيه الباحثون ثنائية الانفتاح والانغلاق على الثقافات الأخرى في إيران التي تتراوح بين الرّفص والتأييد في التّصوّرات الفكرية والنّقدية في إيران. وكان هدف الباحثين من الدّراسة تبين أنماط

الوعي بقضايا الهوية والقضايا المتعلقة بالأنا والآخر في الفكر الإيراني المعاصر؛ وقد ركّزت الدراسة على أفكار الناقد 'داريووش شايغان' وآرائه من خلال التركيز على أبرز كتبه في هذه المرحلة وهو 'آسيا مقابل الغرب'.

آخر مقال نختم به مادة عددنا عبارة عن ترجمة لمقال الدكتوراة "ليزا سهر مجاج" يحمل عنوان 'الأدب الأمريكي - العربي: أصوله وتطوّراته'، وتؤكد فيه الباحثة المؤلفة على أنّ الأدب الأمريكي العربي - وإن كان قد مرّ عليه أزيد من قرن -، إلّا أنّه لم يتمّ الاعتراف به بوصفه جزءا من المشهد الإثني لأمريكا الأدبية - إلّا مؤخرا. وقد أشارت إلى أنّ ازدهار إبداع الكتاب الأمريكيين العرب، وزيادة عدد منشوراتهم دليل على تنوّع الجذور الثقافية العربية التي يرمونها والطرق المتنوعة التي تشتغل بها هذه الجذور الثقافية في الولايات المتحدة. كما أشارت إلى مطالبة البعض بضرورة تمحور الأدب الأمريكي العربي حول قضية ترك المرء هويّته واكتسابه أخرى جديدة. في حين يرى آخرون أنّ الأدب الأمريكي العربي أخذ مكانه داخل نسيج عالمي باعتباره عنصرا من مكونات الشّتات العربي في العالم الذي يمكن فيه تنشيط الرّوابط الثقافية.

يخضع ترتيب المقالات كالعادة إلى شروط تقنية لا غير.

ونحن إذ نتمنّى أن يجد قراءنا في هذا العدد ما ينفع، فإنّنا نحيب بجنود الخفاء، شموع 'التواصل الأدبي' التي تحترق لتضيء وجه ما يُنشر في المجلّة، شاكرين الجهود التي بذلوها حتّى يصدر العدد بهذا المستوى، كما نحيب بالباحثين الذي وضعوا ثقتهم في المجلّة، فلو لا هؤلاء وأولئك، ما كان هذا العدد ليكون.

فشكرا لكلّ الأيادي التي تعاونت كي تكون 'التواصل الأدبي' على ما هي

عليه.

الجزائر في مذكرات الأسرى الأوروبيين - قراءة في نماذج -

Algeria in European captives' memoirs -models' reading-

د. شفيق بوطرفة

أستاذ متعاقد بجامعة عباس لغرور/خنشلة (الجزائر)

(chafik.boutarfa@univ-khenchela.dz)

تاريخ الإرسال: 2022-05-18 تاريخ القبول: 2022-06-03 تاريخ النشر: 2022-06-30

الملخص:

حظيت الجزائر خلال الوجود العثماني باهتمام الكثير من الدول الأوروبية. فقد جذبت المكانة التاريخية للجزائر الآلاف من الرحالة الأوروبيين - على اختلاف جنسياتهم وتخصصاتهم- الذين أسهموا في توثيق الكثير من الأحداث وأصدروا عددا لا يستهان به من المؤلفات والمذكرات واليوميات التي أسهمت في تصوير الواقع الجزائري في مستوياته الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، والدينية. وتجدر الإشارة إلى أن هيمنة الجزائر على حوض البحر الأبيض المتوسط تسببت في خوضها للكثير من الحروب والمعارك مع مختلف الدول الأوروبية -التي لم تهضم حقيقة الهيمنة الجزائرية- وبالتالي فقد نجح الجزائريون في أسر المئات من الأوروبيين.

وتأسيسا على ما سبق تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف عند أهمية كتابات ومذكرات الأسرى الأوروبيين في تمثيل صورة الجزائري بفضل ما تحويه هذه المذكرات واليوميات من أحداث ومغامرات ومشاهد متنوعة عن الجزائر. حيث أسهمت مذكرات الأسرى الأوروبيين إلى جانب مختلف النصوص الرحلية الأوروبية في تقديم صورة متكاملة عن الجزائر في فترة الوجود العثماني. وتسليط الضوء على مختلف مناحي الحياة: السياسية، الاجتماعية، الدينية، الثقافية... من منظور أوروبي غربي.

الكلمات المفتاحية:

المذكرات، الأسرى الأوروبيين، صورة الجزائر.

Abstract:

During the Ottoman existence, Algeria attracted the attention of many European countries. Algeria's historic status has attracted thousands of European travellers - of different nationalities and specialities - who have contributed to the documentation of many events and produced a significant amount of literature, memoirs and memoirs that have contributed to the social, political, economic and religious representation of the Algerian reality. It should be noted that the Algerian domination of Mediterranean basin has led it to wage many wars and battles with various European countries -which have not accept the reality of Algerian hegemony- and have thus succeeded in capturing hundreds of Europeans.

Therefore, this article aims to recognize the importance of the writings and memoirs of European captives to represent the image of Algeria through the events, the adventures and the different scenes of Algeria. The memoirs of European captives, as well as various European travel texts, provided an integrated picture of Algeria during Ottoman existence. To highlight different aspects of life: political, social, religious, cultural... From a Western European perspective.

Keywords:

Memory, European captives, Algeria, image, image of Algeria.

توطئة:

يستمد أدب الرحلة أهميته من غزارة المعلومات التي يحويها والتفاصيل التي عكف الرحالة على تدوينها انطلاقاً من احتكاكهم المباشر بسكان البلدان التي قاموا بزيارتها. وهذا ما يجعل نصوص الرحلة مصادر غنية بمختلف الانطباعات والمشاهد التي وثقها الرحالة. كما تجدر الإشارة إلى أن النصوص الرحلية وسيط مهم من وسائط تلقي صورة الآخر «فقد اكتسبت مادة الرحلات -بصفة عامة- شعبية

وتداولوا واسعا بين القراء، كما حظيت أعمال بعض الرحالة بقدر كبير من الشهرة لم تنله الكثير الأعمال الأدبية أو الإثنوغرافية المتخصصة، ذلك أن مادة الرحلات احتوت على الكثير من عناصر الخلق والإبداع، مع الابتعاد عن الأسلوب الأكاديمي الجاف والمادة التجريدية. لهذا لعبت كتابات الرحالة دورها الكبير في تقديم صورة (الغير) لقرائها، وترسيخ مجموعة من الانطباعات العامة، والتصورات عن الشعوب الأخرى، صادقة كانت أم خاطئة.⁽¹⁾ فقد كان لكتابات الرحالة أثر بالغ في تمثيل الآخر والخوض في تفاصيله، ويمكن وصف هذه الصور بالمتزنة بين الواقع والخيال مما يستدعي أثناء تفكيكها الكثير من الحذر بسبب تباين الرحالة ايدولوجيا وثقافيا. ولما كان الشرق من الأمصار التي شكلت علامة استفهام بالنسبة لنا الأوروبي، فقد شهد على مرّ القرون توافد الكثير من الرحالة الأوروبيين الذين حجوا من مختلف الأقطار؛ هروبا من طغيان الماديات التي ألفت بظلالها على حياة الأوروبيين. الأمر الذي دفع بالكثير من الأدباء، والعلماء، والاثنوغرافيين إلى التوجه نحو الشرق في محاولة منهم لاكتناه أسرار هذا العالم الذي كثيرا ما وصفته كتابات المستشرقين بالساحر والروحاني، هذه الروحانية التي كانت تفتقر إليها أوروبا الغارقة في الوجودية والمادية.

وأيّا كانت أنواع الرحلة ودوافعها، فقد حظي الشرق باهتمام الرحالة الأوروبيين وأضحى بالنسبة لهم عالما عجيبا وغريبا في غالب الأحيان، فليالي الصحراء تخلف كثيرا عن أجواء أوروبا الباردة نفس الشيء يقال عن العادات والتقاليد التي تميز المنطقة، فالشرق بالنسبة لهم « هو أرض التوراة والضياء، إنه الرومانتيكية أو الواقعية التي حلم بها لامارتين وديديه، وغوتيه، وفلوبير، وفرومنتان. فديديه المشمئز من باريس ومن فرنسا ومن أوروبا برمتها، ذهب هناك لبحث عن الراحة والنسيان ولامارتين يفكر في بالشرق ليحيي ذكريات شبابه

المسيحية، ويحرق لرؤية تلك الجبال التي كان يهبط فيها الرب، وتلك الصحاري التي كانت تؤمها الملائكة، لتظهر لهاجر النبع الخفي لقد كانت مخيلته عاشقة (البحر، وللصحاري، وللجبال، وللعادات، ولآثار الله المرسومة على الشرق...)»⁽²⁾ إن الرحالة الذين قرروا التوجه نحو الشرق لم يأتوا صدفة أو هروبا من الرتبة المفروضة في المجتمعات الأوروبية فحسب، وإنما كانوا يطوفون لغرض معرفة الآخر عن قرب بكل تفاصيله وبالتالي الاقتراب كثيرا من المجهل الشرقية وإدراك كل جزئياتها: الإثنوغرافية، الثقافية، الدينية، الاجتماعية السياسية، وغيرها.

إن الحديث عن الجزائر في الفترة العثمانية يستدعي الحديث عن المكانة التاريخية للبلد والدور المحوري له في حوض البحر الأبيض المتوسط، إذ يقر الرحالة والمؤرخ الألماني "هيرمان هاوث" (Hermann Hoth) بالدور السيادي للجزائر على البحر الأبيض المتوسط -قبل الاحتلال الفرنسي- والذي يعد أهم أسباب الغزو الفرنسي معتبرا احتلال الجزائر أهم حادثة وقعت في القرن 19، فقد أرعبت الجزائر «الشعوب التجارية واستبدت بالبحر الأبيض المتوسط، وأرغمت "شارل الخامس" (Charles V)* على الفرار أمامها بصورة مخزية. ومع أن إنجلترا نفسها كانت سيدة البحار، فإنها لم تستطع أن تملّي اتفاقياتها على الجزائر إلا بصورة مؤقتة. وكانت الجزائر قد أجبرت الشعوب خلال قرون عديدة على دفع إتاوة لها نظير مرور سفنها التجارية بالبحر الأبيض المتوسط.»⁽³⁾ إن صورة الهيمنة التي نقلها المؤرخ الألماني لا تخفى على المطلعين على التاريخ، حيث يتجلى الدور السيادي للجزائر في حوض البحر المتوسط في استسلام الدول لدفع الضرائب للإيالة العثمانية التي كانت تُؤمن طريق السفن الأوروبية وتوفر لها الحماية مقابل أموال طائلة، فالكل يدفع لداي الجزائر بما في ذلك كبرى الدول الغربية، ففوة الأسطول الجزائري أكسبت البلد احترام كل دول العالم غير أن أطماع الفرنسيين ومكرهم مكنهم من احتلال الجزائر.

إن هيمنة الجزائر على حوض البحر المتوسط مكنها من الظفر بالكثير من المعارك والحروب، وأسر الكثير من الأوروبيين (أدباء، عسكريين، علماء وأطباء، جواسيس، اثنوغرافيين...) وقد وثق هؤلاء الأسرى مدة أسره لحظة بلحظة في شكل يوميات ومذكرات مما يجعل من كتاباتهم عينا مفتوحة على الواقع الجزائري في فترة مهمة من تاريخ الجزائر الكبير. إذ ساهمت مذكرات الأسرى الأوروبيين في تمثيل صورة الآخر الجزائري وتمكنت من تصوير جميع مناحي حياته، مما يجعل هذه الكتابات من المصادر التاريخية والطبوغرافية والاثنوغرافية، والاقتصادية... وانطلاقا مما سبق تسعى هذه الدراسة إلى محاولة استجلاء صورة الجزائر في كتابات الأسرى الأوروبيين الذين سمح وجودهم بالاحتكاك بالمجتمع الجزائري وتصوير حياته الاجتماعية والثقافية والدينية... مما يدفعنا إلى طرح جملة من التساؤلات المتعلقة بهذه الكتابات أهمها:

- كيف تمثلت صورة الآخر الجزائري في مذكرات الأسرى الأوروبيين وما مدى مطابقتها للواقع الجزائري؟

- ما هي أبرز المرجعيات التي قامت عليها صورة الجزائر والجزائريين في مذكرات ويوميات الأسرى نماذج الدراسة؟

أولا: صورة مدينة الجزائر:

شكلت مدينة "الجزائر" بالنسبة لنا الأوروبي المدينة الشرقية الفاتنة، -المختلفة عن المدن الأوروبية- فقد كانت بمثابة السحر الذي لا يقاوم، فلا تخلو رحلة من افتتاح صاحبها بطبيعة المدينة الخلابة. إذ يعبر الأسير الفرنسي "تيدنا" * (Thédnat) -الذي كان يزور العاصمة من أجل تقديم المحلة للداي- عن إعجابه

بمدينة الجزائر التي أقيمت على سفح جبل مما أعطي المدينة منظرا رائعا جدا، أما ضواحيها، فكانت صورة تشرح الصدر بمنظرها المميز وبساتينها ومنازلها الريفية المبنية على منحدر الجبل، والمميز فيها كثيرا هي منازل القناصل الذين ينون بذوق حديث. على كل حال ليس هناك أجمل من هذه المدينة ولا افتر من الأرياف والتلال الخصبة التابعة لها التي تملأ المنظر بمهجة⁽⁴⁾.

يصف الأسير الألماني "فندلين شلوصر"*(Wendelin Schlosser) مدينة الجزائر بالمدينة المحصنة ذات الطابع العسكري*؛ لأنها محاطة بالكثير من الحاميات قائلا: «وتوجد أمام المدينة قلاع وحاميات رهيبة، تحيط بالميناء كله. ويقع الميناء الذي ترسو به سفن القراصنة خلف قلعة، أقيم فوقها عدد كبير من المدافع الثقيلة، ولا يكاد يتسع لثلاثين سفينة...»⁽⁵⁾ إن تصوير "شلوصر" لمدينة في الجزائر في صورة مدينة حربية حقيقة لا مفر منها وإنما هي صورة تجسد واقع المدينة في تلك الفترة، فالحروب الكثيرة التي خاضتها الجزائر فرضت على السلطات العثمانية بناء الكثير من الأبراج الحربية التي تحتوي على الكثير من المدافع خاصة وأن المدينة كانت مهددة من الضفة البحرية من قبل الدول الأوروبية.

ويقدم "شلوصر" العمران الجزائري في صورة سلبية، ففي اليوم التالي من قدومه قرر التجول قليلا في شوارع الجزائر، فوجد أن «كل شيء في حالة يرثى لها، فالبيوت منخفضة، تأخذ فيها الثقوب الهوائية محل النوافذ، ولم تكن هناك بناية جميلة على الإطلاق، باستثناء ترسانة صغيرة في القسم الأسفل من المدينة وقصر القصبة. وكانت الشوارع غير مستوية ومبلطة بصورة رديئة وضيقة جدا بحيث لا تكاد تتسع لعربة واحدة، كان هناك شارع واحد معبد إلى حد ما، يفضي إلى باب الواد. ولمدينة الجزائر أربعة أبواب، بابان في الناحية البحرية وآخران في الناحية البرية، ويحرسها الحصان المذكوران آنفا والقصبة، وتشكل حدودها الخارجية أرض كثيرة

التلال شبيهة بالهلال تمتد في الشمال في جانبي الجزائر على ساحل البحر، وتتسع في الجنوب، وتنتهي فيه على بعد 6 ساعات من المدينة.⁽⁶⁾ على الرغم من اعتراف "شلوصر" بجمال الطبيعة المحيطة بالجزائر إلا أن ذلك لم يشفع لها أبداً أن تكون من المدن الجميلة بسبب شوارعها الضيقة وغير المستوية، فهذه الصورة السلبية عن العمران الجزائري صورة واقعية تعبر عن عمران البلد في فترة تاريخية مهمة، ونحن إذ نقرأ هذه الأسطر نحمل العثمانيين الجزء الكبير من المسؤولية؛ لأنهم لم يهتموا بجمال المدن بقدر ما اهتموا بجمع الضرائب والقرصنة في عرض البحر. أما الفرنسيين فقد عمدوا إلى القضاء على كل أشكال الخصوصية العربية للبلد والدليل على ذلك تهديمهم للأحياء العربية من أجل تشييد أحياء أوروبية حتى يقنعوا الداخل والخارج أن الجزائر فرنسية.

أما ابن بلده "سيمون بفايفر" ^{*}(Simon Pfeiffer)، فيكتفي بتقديم وصف عام لمدينة الجزائر من الخارج قائلا: «تقع مدينة الجزائر فوق جبل، وتمتد منه منحدره إلى الميناء، بحيث إن المياه تلمس الصفوف السفلى من المنازل، وتتصب الدور العالية ذات السقوف المسطحة إلى جانب بعضها البعض، وهي مبيضة بالكلس، وتخلع على المدينة من جانب البحر منظرا بديعا ساحرا، فصفوف السطوح ترتفع فوق بعضها بعضا تتخللها القباب والمنارات والقصور. وتتميز المساجد، وقصر الداوي السابق، وثكنات الانكشاريين، ومجموعة من المنازل الخاصة عن بقية البنايات الأخرى، وخاصة القصبة، وهي القلعة ومحل الداوي، التي تقع فوق الجبل في القسم الأعلى من المدينة وتمتد من طرفها إلى الطرف الآخر، وفوقها علم كبير يخفق في كبرياء.»⁽⁷⁾ لا يخرج الوصف الذي يقدمه "بفايفر" عما جاء به بقية الرحالة الذين زاروا مدينة الجزائر من صور، إذ يتفق الجميع على جمال روعة واجهة المدينة المطلّة على البحر.

ويرى "سيمون بفايفر" أن الحروب الكثيرة التي خاضتها حامية "الجزائر" لم تؤثر على جمال الطبيعة التي تحيط بها قائلا: «وهناك على جانبي المدينة تلال ووديان وسهول، تتناثر فيها حدائق السفراء الأوروبيين وبيوتهم الفاخرة، التي تحتضن فوقها أعلام بلادهم. وهذا بالإضافة إلى عدد لا يحصى من بيوت المتعة التي تطل من البساتين أو حقول البرتقال والزيتون، فتخلع على المنطقة كلها منظرا بالغ الروعة. وتمتد في المؤخرة جبال الأطلس الشماء، وبعضها مغطى بالثلوج على الدوام، وهي عبارة عن صفوف طويلة تمتد من الجنوب الشرقي إلى الغرب.»⁽⁸⁾ انطلاقا مما جاء به "بفايفر" يمكنني القول إن مدينة الجزائر واحدة من المدن العربية التي سحرت الرحالة الأوروبيين بمنظرها الطبيعية الخلابة، فجبال الأطلس الملتفة حول المدينة كانت بمثابة الحارس الذي يحمي ظهر العاصمة. وتجدد الإشارة إلى أن الرحالة الأوروبيين بما فيهم الأسرى قد افتتنوا بطبيعة الجزائر وسحرها ومن ذلك ما جاء في رحلات "غي دو موبسان" (Guy de Maupassant)، "إيزابيل إيرهارت" (Isabelle Eberhardt)، "أندريه جيد" (André Gide)، "الدكتور توماس شو" (Thomas Shaw) "موريس فاغنر" (Moritz Wagner) وغيرهم من الرحالة الذين استغرقوا صفحات طويلة للتعبير عن إعجابهم وافتنائهم الشديد بطبيعة بلاد الشمس، مثلما عبروا عن سخطهم من طبيعة العمران الجزائري في تلك الفترة والذي لم يرق إلى مستوى تطلعاتهم.

ثانيا: صورة الجزائري الشجاع والمتمرد:

يجسد "شلوصر" القبائلي في صورة المتمرد والشجاع في آن واحد، إذ يشير إلى براعته في صناعة البنادق، والبارود، واهتمامه باستخراج المعادن من الجبال خاصة الفضة. وامتهان عدد كبير منهم تزوير النقود، على غرار العملة الإسبانية والفرنسية بصورة خادعة ويدسونها بين العرب وسكان الصحراء. كما يشير الرحالة إلى مهارة

القبائلي في القتال الفردي، حيث يقوم بمهاجمة عدوه بكل شجاعة خاصة وأنه لا يحد الحرب في مجموعة، وإنما يندفع بمفرده كقناص إلى الإمام؛ لأن سرعته في القتال كبيرة حتى أنه يحشو بندقيته وهو يركض. كما أن القبائلي يحسن الرمي جيدا فلا ينجو منه حيوان ذلك أنهم يتعلمون الرمي منذ الصغر⁽⁹⁾.

تتفق كتابات الرحالة الأوروبيين على وصف رجال القبائل بالمتمردين على السلطان، ويعلق "بفايفر" على سكان القبائل الذين يسكنون الجبال قائلا: «عددهم غير معروف الآن، حتى الداوي نفسه لم يكن يعرف ذلك. ويحكمهم شيخ، وهم لا يعترفون بحكم غير حكمه هو، ولا يهتمون لا بالداوي ولا بالباي. والحق أنهم لا يشبهون البدو الرحل، فهم يقيمون في هذه المنطقة ويعيشون من لحوم الصيد وقطعان الماشية وحقول الحنطة التي يزرعونها في سفوح جبالهم، والقبائلي رجل حيوي ماهر، يكتفي بامرأة واحدة، يكن لها الاحترام والإجلال، ويحيا حياة متوسطة، ويمتاز بالقسوة على عدوه، ولكنه يقري الضيف الغريب الذي يضل طريقه في جباله.»⁽¹⁰⁾ اتصف البربر منذ القديم بصفة التمرد وتوارثوها جيلا بعد جيل، وقد رصد أغلب الرحالة الأوروبيين شغب سكان القبائل وتمردهم على السلطات العثمانية. خاصة وأن العثمانيين كانوا يسيئون معاملة الجزائريين وكثيرا ما كانوا يضطهدونهم وهذا ما ولد في أنفس الجزائريين الحقد والكراهية اتجاه الأتراك.

ويقدم "شلوصر" وصفا لحجم الخوف الذي أصاب الأتراك لما أحسوا باقترب زوال حكمهم وضياع الإيالة. الأمر الذي دفعهم إلى مغازلة الشعب، فقدموا للجزائريين عدة تنازلات في الوقت بدل الضائع، فقد استمر الداوي في تقديم تنازلات للعرب وسمح لهم «بحمل السلاح، الذي كان محرما عليهم حمله سابقا... فالأتراك لم يكونوا يخافون نزول الفرنسيين فحسب، بل كانوا يخشون أيضا ثورة الجزائريين ضدهم.»⁽¹¹⁾ أشرنا فيما سبق إلى المعاملة السيئة التي كان يلقاها

الجزائريون من قبل العثمانيين، فالمعروف أنهم حرموا من المناصب وحمل السلاح حتى لا يتمردوا على السلطان. فمعاملة الأتراك السيئة للجزائريين مسوغة كافٍ لتمردهم وثورتهم على هذه الأوضاع المزرية. فالأتراك حكموا الجزائر بيد من حديد متجاهلين حقوق الجزائريين.

كما يستحضر "شلوو" نوبة الغضب التي اعترت سكان "قسنطينة" عندما حاول قائد الدار (مولى البلاد) وشيخ البلاد إقناع الشعب باستحالة المحافظة على المدينة بسبب الحصار الذي ضربته فرنسا على المدينة بواسطة عدد كبير من الجنود الذين يعسكرون خارج قسنطينة وينتظرون الفرصة لاجتياح المدينة، حيث «هجم عليهما الشعب في غضب، وبصق في وجوههما، وهددهما بالخنق إن هما استلما مرة أخرى رسالة من الكفار، وأخذ الرسالة ومزقها وداسها بأقدامه. وعندما سمع القائد بذلك أمر بوضع الرجلين في القيود وأخبر الباقي بذلك خارج المدينة، وبعد انسحاب الفرنسيين عفا عنهما، ولكنهما ألزما بدفع غرامة كبيرة»⁽¹²⁾ لقد استغل معارضو "أحمد باي" فرصة خروجه شخصيا لإخضاع مدينتي المدينة وعنابة من أجل زرع الفوضى والخوف في نفوس القسنطينيين قصد إرباكهم ليسلموا قسنطينة إلى الفرنسيين، غير أن هؤلاء قوبلوا بغضب كبير من قبل السكان الذين أعلنوا تمسكهم بمدينتهم مهما كانت نتيجة الحرب مع المستعمر، وهي صورة إيجابية تؤكد على تعلق القسنطيني بأرضه وشجاعته بغض النظر عن الظلم الذي كان يمارسه البايع عليهم، فالوطن شيء مقدس ولا يتم التنازل عنه مهما كان حجم الإغراءات التي كانت تروج لها فرنسا وأذناهما من الخونة الذين تخلوا عن وطنهم وباعوا هويتهم مقابل بعض الفرنكات والامتيازات.

كما يورد الأسير الألماني "فندلين شلوو" في عدة متون من مذكراته صورا توحى بشجاعة الجزائري وإصراره على عدم الاستسلام للفرنسيين وحرصه الدائم

على مواجهة الفرنسيين مهما كانت نتيجة المعركة، فسكان مدينة "قسنطينة" الذين كان أغلبهم من الطبقة المتوسطة والفقيرة «كانوا سيبدلون أقصى جهدهم للمحافظة على المدينة، وكانوا يفضلون الموت على تسليم أنفسهم للفرنسيين. وكانوا قد أقسموا في المساجد كلها بأنهم على استعداد لخنق نساءهم وأطفالهم ثم البحث عن الموت في حراب الفرنسيين.»⁽¹³⁾ إن ما جاء به "شلوصر" عن الآخر القسنطيني يجسد صور المقاومة والشجاعة التي ميزت الجزائري على الرغم من نغمته على الحكام العثمانيين الذي همشوه كثيرا واستولوا على أمواله بالقوة في كثير من الأحيان، فهو لم يكن ليقدم تنازلات عن وطنه وأرضه لفرنسا مقابل تخليصه من الحكام العثمانيين -مثلما يدعي الفرنسيون في كثير من الكتابات- فقد فضل الجزائري الموت على تسليم أرضه.

فالجزائريون لم يتوانوا لحظة عن تلبية نداء الداي الذي لان كثيرا في معاملته للعرب عند شعوره بقرب نهاية حكمه، حيث ينقل "بغايفر" صورة توحى بتمسك الجزائري بكرامته وأرضه مع قائلا: «قد وقف أغلب أفراد الشعب بجانب الداي، باستثناء نواحي البليدة، فالأمر هناك لم يكن كما ينبغي. والسبب في ذلك أن قائدها كان قد ألقى القبض على اثنين من مشايخ القبائل، الذين يسكنون الجبال المجاورة، وسجنهما في مدينة البليدة، فثارت بلاد القبائل، وسار رجالها مدججين بالسلاح إلى البليدة وأخرجوا الشيخين من السجن بقوة. فغضب الداي وأراد في بداية الأمر معاقبتهم على هذا الاستبداد في الرأي دون الرجوع إليه، إلا أن القبائل ازدادوا عنادا وتحديا من يوم لآخر. وفي النهاية هددوه بأنهم لن يساعدوه ضد الفرنسيين، إن هو استمر في معاملته لهم بهذه الشدة، فارتاع الداي لذلك وراح يعزف على وتر آخر، فلم يكتف بالعفو عنهم، بل أهدى أيضا إلى بعض شيوخهم سيوفا فاخرة وبرانس حمراء.»⁽¹⁴⁾ إن تلبية الشعب الجزائري لنداء الداي لم يكن حبا

في العثمانيين وإنما ثورة على الفرنسيين ودفاعا عن أرضهم، وكانت ردة فعلهم هذه رسالة قوية لكل من يدعي أن الجزائري غير متعلق بأرضه وأنه فرح ورحب بالمستعمر الفرنسي، فعلى الرغم من المعاناة التي ظلت تلازم الجزائري منذ استلام الأتراك سدة الحكم إلا أنه لم يتخلف يوما عن الدفاع عن وطنه.

ويكشف الأسير الألماني "شلوصر" عن صورة الفرنسي المنبوذ لدى الجزائريين، إذ ينقل عبر نصه الرحلي مدى كراهية الجزائريين للنصارى هذه الكراهية التي عبر عنها الشعب بوابل من الشتائم كلما مرت قافلة الأسرى التي تقله بقرية، حيث «يهتف أحدهم: نصارى، ومن الفرنسيين! اقطعوا رؤوسهم! اذبحوهم! ويهجمون علينا بكل ما تصل إليه أيديهم من هرواي، ومناجل وخناجر وسيوف ليقضوا علينا، ولم ننج منهم إلا بفضل جشع الحراس الذين كانوا يأملون في الحصول على مكافأة مالية كبيرة من الباي نظير تسليمنا إليه»⁽¹⁵⁾ تظهر هذه الصورة حجم الحقد والكراهية التي يكنها الجزائريون للمستعمر الفرنسي حتى صار الجزائري لا يميز بين جنسيات هؤلاء الأجانب، ففي نظره كل أجنبي فرنسي يستحق الموت. وهي صورة واقعية فرضها الاستعمار، فجرائم فرنسا في حق الجزائريين تجاوزت حدود الإنسانية، لذلك لا نستغرب ردة الفعل هذه اتجاه العدو. ففرنسا التي احتلت الجزائر منذ أكثر من قرن «لم يكد يقع طوال هذه المدة أي زواج مختلط أو تتحقق أية مودة فرنسية إسلامية اعتقادا منه أن مصلحة المستعمرين هي محو الشخصية الجزائرية من أجل فرنسا. فلو كانوا مؤمنين بالجزائر وتقدمها والإبقاء عليها لعملوا - تحذوهم مصالحهم الخاصة - على الاهتمام بالتنمية الاقتصادية والثقافة في الجزائر»⁽¹⁶⁾ إن السياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في الجزائر قد زادت في حجم الهوة بين أصحاب الأرض وبين الفرنسيين، ففرنسا لم تحترم الجزائري باعتباره صاحب الأرض، وتجاوزت خصوصياته ومكونات هويته بسعيها إلى محو الشخصية الجزائرية؛ مما أوجع الحرب بين الطرفين.

لم تكن الرغبة في الانتقام من الفرنسيين مقتصرة على الرجل الجزائري فقط، فالمرأة الجزائرية كان لها نصيب كبير. فما كاد الناس يسمعون بمرور قافلة الأسرى المسحيين عبر إحدى القرى «حتى خرجت النسوة، وهن نصف عرايا، من جميع الأكواخ، وهجمن علينا بالمناجل والخناجر. ومن حسن حظنا أن أزواجهن لم يكونوا في البيت، فقد كانوا يحصدون القمح في مكان بعيد عن مساكنهم. فإذا كانت النساء اللواتي يوصفن عادة بأنهن أكثر حنانا من الرجال في هذه الدرجة من القسوة فكيف سيكون رجالهن إذن؟ لقد كن يطالبن برؤوسنا في غضب شديد وإذا هن لم يمكن من ذلك فإنهن سيهاجمن الحراس»⁽¹⁷⁾ لقد جرد الانتقام المرأة الجزائرية من أنوثتها، فلم يعد هناك شيء أهم من أخذ الثأر من الفرنسيين الذين اغتصبوا الكثير من النساء وقتلوهن، فعلى الرغم من إساءة المشهد للأنوثة إلا أنه يظهر مدى شجاعة المرأة الجزائرية وإقدامها.

ويعزو الأسير الألماني "شلوصر" قسوة الأهالي وسفالتهم إلى دينهم الذي «يأمرهم بمطاردة النصارى ومحاولة إبادتهم»⁽¹⁸⁾ إن ما جاء به "شلوصر" يهدف إلى تشويه صورة الإسلام بالاستثمار في مطاردة الجزائريين المسلمين للفرنسيين (النصارى)، حيث يحاول الأسير الألماني تصوير المعارك التي تجري على أرض الجزائر على أنها حرب يقودها المسلمون ضد النصارى، وكأن الأسير نسي أنها حرب بين شرفاء يدافعون عن وطنهم ولهم الحق في مطاردة المستعمر أينما وجد، ومع ذلك، فإنه من الموضوعية الإشارة إلى أن «العلاقة بين الإسلام والغرب لم تعرف قديما ولا حديثا سوى التوترات والاحتكاك إلى منطلق الأحكام المسبقة والتصورات البائسة لتغذية هذا التناكر المتبادل والرؤى التنبؤية... تَنعِيَتْ الرقعة الجغرافية والتاريخية للإسلام بالخطر المحدق بمهية ووجود الغرب»⁽¹⁹⁾ بناء على ما سبق لابد من القول؛ إن التوترات القائمة بين الغرب والإسلام قد أسهمت في تأجيج الكثير من الحروب

وتزييف الكثير من الحقائق، فالصدام الحضاري بين الشرق والغرب الموجود منذ الأزل بين عالمين مختلفين هو ما صاغ هذه الهوة العميقة. فضلا عن ذلك فإن تشكيل صورة الفرنسي المنبوذ لدى الجزائريين كانت - إلى جانب ما سبق ذكره - انطلاقا من موقفهم من الاستعمار.

يجسد الأسير الألماني "سيمون بفايفر" المرأة الجزائرية في صورة الشجاعة والوفية. حيث يستحضر إحدى القصص التي تروي بوفاء المرأة الجزائرية لزوجها وعدم تخليها عنه في أصعب الظروف، وذلك عقب حديثه عن إحدى النساء -الجميلات- التي توجه لكي يسعفها بعد إصابتها برصاصة أحد الجنود الفرنسيين، وذلك بعد أن «لحقت بزوجها من جبهها له إلى أرض المعركة، وكيف أصابت زوجها رصاصة العدو القاتلة، فساعدته، زوجته، على الابتعاد عن ضجة المعركة، فأصيبت هي نفسها برصاصة في ظهرها.»⁽²⁰⁾ تنقل القصة التي سردها "بفايفر" صورة إيجابية عن شجاعة المرأة الجزائرية ووفائها لزوجها.

وليست نساء البغي أقل وطنية وشجاعة من النساء العفيفات المتزوجات، فقد لفت انتباهي عند تصفح مذكرات "سيمون بفايفر" مشاركة نساء البغي في بعض المعارك التي خاضها الجزائريون ضد الفرنسيين، وفاءً لوطنهن، حيث يتحدث "بفايفر" عنهن قائلا: «كانت أغلبهن من اللواتي كن يعشن حياة فاسقة داعرة، وقد أردن الآن التكفير عن ذنوبهن أمام الله والناس، فمضين مسرعات إلى أرض المعركة، وعلى ظهورهن قرب الماء ليطفئن غلة المسلمين المقاتلين، ويمسحن بمناديلهن عرق أجبنتهن، ويثرن فيهم الحماس إلى الاستمرار في القتال، وخوض المعركة بشجاعة وبسالة، إلا أنه كان بينهن نساء وقتيات شريفات، دفعهن حبهن لآبائهن وأزواجهن وخوفهن عليهن إلى اللحاق بهم في أرض المعركة.»⁽²¹⁾ لا يمكن إنكار وجود ظاهرة البغاء* في الجزائر، فمثل هذه السلوكات السلبية موجودة في كل المجتمعات، غير أن

ما يجعل هذه الصورة صورة إيجابية هو تركيزها على الروح الوطنية للمرأة الشرقية ووفائها لوطنها والدفاع عنه بشجاعة من أجل الحرية والحفاظ على انتمائها وهويتها سواء أكانت شريفة أو امرأة بغي، فالمرأة التي تخلت عن عفتها لم تتخل عن وطنيتها كما فعل بعض اليهود*!

ثالثا: صورة الجزائري اليهودي:

يصف الأسير الألماني "شلوصر" معاملة سكان قسنطينة لليهود بالسيئة جدا، فاليهود الذين كان عددهم حوالي تسعة آلاف في تلك الفترة كانوا «بصورة عامة محتقرين في قسنطينة، فكان اليهودي يعامل معاملة العبد، فإذا احتاج الباي إلى المال فإنه يطلبه من اليهود، وحين يكون لشخص ما عمل لا يليق به، فإنه يأخذ اليهودي ليقوم بذلك العمل. وإذا وصلت مثلا الرؤوس المقطوعة إلى المدينة وأصابتها الفساد لبعد مسافة النقل، وشدة حرارة الشمس، فإن اليهود يأخذون من بيوتهم ودكاكينهم ويعطى لكل واحد منهم رأسان، يطوف بهما في المدينة، ثم يحملها إلى الرحبة، وإن امتنعوا عن ذلك فإنهم يتعرضون لإهانات مختلفة.»⁽²²⁾ يظهر اليهودي إنسانا منبوذا وغير مرحب به في أوساط الجزائريين المسلمين حتى وإن كانوا من أبناء هذا الشعب، فالكثير من الرحالة أشاروا إلى العلاقة الهشة بين المسلمين واليهود في الجزائر غير أن حظ يهود "قسنطينة" يظل أسوأ بكثير من باقي اليهود المتواجدين عبر التراب الوطني، فكل الأعمال القذرة كانت تنسب لهم، وهي صورة سلبية تستدعي تدخل المؤرخين للبحث عن أسباب هذه الكراهية المفرطة.

لكننا إذا عدنا إلى كتب التاريخ وتصفحنا مذكرات وكتابات الرحالة الأوروبيين، فإننا سنكتشف بعض الحقائق المثيرة عن يهود الجزائر الذين يصورهم "بغايفر" في صورة الجبناء والخونة وذلك بعد فرارهم من القذائف، ورفضهم المشاركة في مواجهة الفرنسيين قائلا: «قد تركوا المدينة خوفا من القذائف، وصعدوا جماعات

إلى الجبال التي ترتفع خلف المدينة، ولكنهم لم يطمئنا على حياتهم، فقد اتهمهم الانكشاريون بأنهم قد تسللوا ليلا إلى معسكر العدو، ولم يزودوه بالمواد الغذائية فحسب، بل إنهم دلوه أيضا على جميع الطرق التي تسهل له الصعود إلى الجبال. وهكذا هاجم المسلمون اليهود الخونة وقتلوا بعضهم ونهبوا آخرين.»⁽²³⁾ إنه لشيء مؤسف أن تشوه هذه الفئة من الجزائريين نفسها بمثل هذه السلوكات البشعة، فكيف يسمح هؤلاء لأنفسهم بخيانة وطنهم والعمل على مساعدة الفرنسيين في الدخول إلى المدينة. وحتى لا يخرج بحثي عن إطاره الموضوعي لا يجب تعميم هذه الصور على كل يهود الجزائر، فوجود يهودي خائن يعني بالضرورة وجود مسلم خائن، وقد وثقت كتب التاريخ هذه الحقائق.

ويصف "بغايفر" الفرحة التي عمت يهود الجزائر بعد وقوع المدينة في قبضة المحتل الفرنسي قائلا: «يطوفون في الشوارع فرحين مبتهجين، ونظرا لأنه كان محرما عليهم سابقا ارتداء غير الثياب السود والزرق الغامقة... فقد ارتدى بعضهم قلنسوات حمراء، وراحوا يجوبون الشوارع وهم راكبون على البغال، وكانت الآلاف تسير خلفهم وتصيح "يهود مسرح" وكانت أصوات هذا الشعب القذر تتعالى بهتافات "فيلا لافرنسيص - يحيا الفرنسيين" فأظهر بذلك أنه غير جدير بالحرية.»⁽²⁴⁾ يبدو أن فئة اليهود التي يقصدها النص الرحلي لم تكن وفية لوطنها، ولم تكلف نفسها عناء حمل السلاح والوقوف في وجه المستعمر الفرنسي، ولعل هذا ما جعل "بغايفر" يصفهم بأنهم غير جديرين بالحرية، والدليل تنكرهم للوطن وترحيبهم بالمحتل الفرنسي. وتحذر الإشارة إلى أن الكثير من كتب التاريخ قد وثقت هذه المشاهد المخزية. ومن ذلك ما كتبه المؤرخ الفرنسي "شارل أندريه جوليان" (Charles-André Julien) عن يهود الجزائر قائلا: «لقد استقبل يهود الجزائر المحتلين بالفرح، وعندما انتشر الجنود الفرنسيون في فوضى ينهبون المنازل كان

اليهود يوجهونهم نحو الأماكن التي بها ما ينهب ويقومون بشراء ما نخبوا منهم بأبخس الأثمان.⁽²⁵⁾ إن ما أورده المؤرخ الفرنسي عن يهود الجزائر يؤكد خيانة ونذالة يهود الجزائر هذه الفئة التي تنكرت لوطنها بمساندتها للمحتل الفرنسي، فضلا عن الاستقواء على الجزائريين المسلمين في ظل الوجود الفرنسي.

يواصل الأسير الألماني "سيمون بفايفر" سرد القصص التي تروي بخيانة البعض من يهود الجزائر قائلا: «وما إن رأى اليهود أن الفرنسيين يفضلونهم على أبناء البلاد، حتى ركبوا رؤوسهم وتظاهروا بالشجاعة، واتسمت تصرفاتهم وبالجرأة والوقاحة، فكانوا يعتدون على المسلمين، لاسيما الأطفال منهم، حين يلتقون بهم في طريقهم، ويسئون معاملتهم بصورة فظيعة، ومع هذا الغرور والتعالي والعجرفة، فإني أعتقد أن في استطاعة تركي واحد مسلح أن يهزم الآلاف منهم. إلا أن القائد العام سرعان ما وضع حدا لغرورهم هذا إلى حد ما. وذلك عندما أنشأ مجلسا بلديا، يتكون من أغنياء المدينة، للمحافظة على الحقوق والنظم بين المسلمين.»⁽²⁶⁾ يجسد "بفايفر" يهود الجزائر في صورة الخونة الذين تجاوزوا كل حدود الدناءة، فبعد ترحيهم الحار بالوجود الفرنسي أصبحوا يستغلون تعاطف الفرنسيين معهم من أجل إذلال أو الإساءة لأطفال المسلمين قبل أن يضع القائد العام حدا لنذلتهم بسنه لقوانين تنظيمية للبلديات في الجزائر.

إن خيانة اليهود للجزائر ليست بالجديدة، فقد عبروا عن فرحتهم العارمة أيضا لما احتل الإسبان مدينة وهران، وتعاونوا مع الإسبان⁽²⁷⁾ إلى أبعد الحدود وصالوا وجالوا ضد المسلمين، وظلموا وتعدوا على حرمتهم أيضا ما يوحي بأن الخيانة متجذرة في نفوس غالبيتهم. وقد حاول المؤرخون والكتاب الأوروبيون واليهود تبرير انحياز اليهود للفرنسيين وخيانة الجزائر بمختلف التبريرات ولعل أهمها تصوير وضع اليهود في البلاد أثناء العهد العثماني بأشجع الصور وإبرازه كمرحلة

ظلم وظلام واضطهاد وعنصرية عرقية ودينية «وكأنها كانت مقتصرة فقط على اليهود رغم أن معاناة المسلمين منها لم تكن أقل من معاناة اليهود أو ربما أكثر منها. فسلوك الحكام العثمانيين تجاه اليهود لم يكن سلوكا أقل من عنصريا نابعا من التمييز الديني بل كان تجسيدا لتقاليد وفلسفة الحكم العثماني ونتيجة أيضا للفساد السياسي والأخلاقي على العموم.»⁽²⁸⁾ انطلاقا مما سبق يمكن القول إن اليهود قد عاشوا في العهد العثماني محترمين ولكن ليس بالضرورة محبوبين، فضلا عن ذلك فإن الجزائريين أيضا كانوا يتقاسمون معهم المعاناة والقسوة الممارسة من قبل العثمانيين ومع ذلك فإنهم لم يظهروا ترحيبهم بالغزاة والتعاون معهم ضد العثمانيين لأنهم كانوا يدركون جيدا أن الوجود الفرنسي احتلال لذلك وقفوا مع العثمانيين وقفة رجل واحد ضد الفرنسيين.

رابعا: صورة الحاكم العثماني:

يجسد الأسير الألماني "سيمون بفايفر" الحكام العثمانيين في صورة سلبية، إذ يورد وصفا لحال الجزائريين في ظل الحكم العثماني قائلا: «لقد أثار الأتراك الشعب الجزائري ضدهم بسبب ما ألحقوه به في عصور مضت من أذى وإهانة واضطهاد. ومن ثم بدأ الجزائريون يشعرون على مهل بقواهم الكامنة في أعماقهم ويطالبون بحقوقهم كاملة، فأجبروا الداي على أن يعترف لهم كل يوم بنصيب أكثر من هذه الحقوق، حتى أنه لم يكن من النادر أن ينتقموا من الأتراك ويلحقوا بهم الهوان والمذلة. وكثيرا ما سمعت الأتراك يقولون فيما بينهم: "لقد تغير الموقف الآن. هذا ما يريده القدر في هذه اللحظة، ولكن أمهلونا قليلا أيها العرب الملاعين... فعندما تنتهي الحرب مع فرنسا، ويرضى عنا السلطان ثانية، ونصبح في غير حاجة إلى مساعدتكم، ينبغي لكم أن تضطهدوا من جديد، وتشعروا مرة أخرى، بثأرنا منكم!" هكذا كانوا يتحدثون فيما بينهم، ولكنهم في الظاهر كانوا يعاملون

الجزائريين برفق ولطف ومروءة.⁽²⁹⁾ إن صورة المكر والخداع التي نقلها الرحالة تحيل إلى واقع عاشه الجزائريون في العهد العثماني، حيث كان الأتراك يتوددون إلى الجزائريين إلى حين التخلص من الفرنسيين، وهذا ما نعتبره تصرفا غير لائق، فقد سلحو الجزائريين وقدموا لهم تنازلات كثيرة من أجل رصهم في الصفوف الأولى التي تواجه الغزاة الفرنسيين حتى يضمنوا بقاءهم في الجزائر، كما فعلت فرنسا مع الجزائريين الذين جندتهم في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا.

وينقل "شلوصر" أيضا جانبا من همجية السلاطين والبايات العثمانيين عقب انتهاء المفاوضات التي جرت بين الباي "أحمد" والشيوخ الذين انقطعوا عن دفع العشور وتاجروا مع الجزائر العاصمة الخاضعة لفرنسا بدلا من قسنطينة، حيث قال لهم الباي: «لستم في حاجة إلى دفع العشور لي، ولكن ما رفضتم أن تأتونني به، سأخذه بنفسني، والآن فإن كل مدخراتكم ملك لي. وبعد هذه الكلمات أشار إلى الجلال، وأمره بقطع لكل منهم لسانه ويده، وطيف بهم مشوهين على هذه السورة في المعسكر، وينادي عليهم: صار أنت رومي! ولكن انتقام الباي لم يكن يعرف الحدود، فبعد عودتهم، أمر بقطع أنوفهم وأذانهم وأيديهم اليسرى أمام الخيمة، ثم الطواف بهم في المعسكر. وعندما سقطوا في النهاية فوق الأرض جراء النزيف الكثير تركهم نصف ساعة في الشمس عرضة للذباب، وبعد ذلك أمر بقطع رؤوسهم.⁽³⁰⁾ إن خروج الباي إلى هذه المعركة كان يهدف إلى إعادة بسط النفوذ على الأراضي التي كانت تابعة له خاصة وأن سكانها قد تخلوا عنه وأصبحوا يتعاملون مع المستعمر وذلك بتواطؤ أعداء "أحمد باي" على غرار باي قسنطينة السابق "إبراهيم"، وكذا باي التيطري "مصطفى بومرزاق"* وهذا ما أضفى على المعارك الطابع الدموي، فالباي خرج لينتقم من خصومه الذين خانوه. فلا يخفى على أحد أن الحكام العثمانيين كانوا جفاة غلاظا، فعهدهم تميز بالعنف الدموي وقصر فتراتهم في الحكم

وبالفوضى وانتشار الرشوة والظلم والفساد وربما هذا ما يحسب عليهم.⁽³¹⁾ وبالتالي فصور العنف والمكر والهمجية التي نقلها الأسير الألماني تعد من التاريخ الوقائي للجزائر في العهد العثماني.

كما يستحضر الأسير الفرنسي "تيدنا" بعض المشاهد التي توحى بجمجية وطمع السلطان العثماني ممثلا في باي معسكر وهو ينهب أموال وأملاك الدواوير التي رفضت طاعته أو أن تدفع له الضرائب، والتي وقعت على بعد 200 فرسخ عن معسكر، حيث خرج حوالي «15000 رجل وتمكن من الانتصار رغم المقاومة التي وجدها والتي خسر فيها ثلاثين شخصا من رجاله من بينهم 5 أو 6 من البارزين. وقد نهبنا 14 أو 15 دوار... وأخذنا كذلك 67000 رأس من الحيوانات الصوفية و5000 جمل و653 دابة و720 بقرة وثورا، أما حاجيات الخيام فهي أبيض ملكا للفرقة بأن سمح لمن يريد أو يتمكن منها بأخذها، وأخذنا ستين شخصا ذلك، أغلبهم من النساء.»⁽³²⁾ توثق كتب التاريخ الكثير من المجازر التي ارتكبتها السلاطين العثمانيون في حق الجزائريين الذين رفضوا دفع الجزية أو لم يتقبلوا فكرة الخضوع للأتراك.

إن صور الهمجية والطمع التي نقلها تيدنا "تيدنا" أمر فظيع جدا، فمشاركة الباي بنفسه في معركة طاحنة مع الأهالي وقتله المئات من الجزائريين لأنهم تخلفوا عن دفع الضرائب أو لم يعترفوا به كسلطان يجعل من النظام العثماني «نظام الحكم الفاسد المبني على العنصرية والاستغلال وانصراف الترك إلى ملء جيوبهم، وإشباع شهواتهم، وترك البلاد للفقر، والجهل، والمرض.»⁽³³⁾ إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة التي كان يعيشها العرب إبان فترة الحكم العثماني سبب وجيه لتغير طباع بعض سكان هذه المناطق وتوجههم نحو التمرد. فالكثير من الجزائريين

فضلوا التخندق في الجبال والوعرة والصحاري حتى يتمكنوا من مقاومة البايات والمضي في عصيانهم لهم.

وحتى لا تخرج هذه الدراسة عن إطارها الموضوعي لابد من الإشارة إلى المقاومة الشرسة التي واجه بها "أحمد باي"⁽³⁴⁾ فرنسا رافضا كل أشكال الإغراء التي كانت فرنسا تهدف بها إلى التخلص من مقاومته بأقل الخسائر، فقد عرضت عليه الاعتراف به كباي وتسلمه لباس الملك لكنه رفض تسليم "قسنطينة" مقارنة مع الداى "حسين" الذي ما إن وقع معاهدة الاستسلام حتى سافر إلى فرنسا أين أكمل حياته هناك...

خامسا: صورة الجزائري العجائبي:

يرى "شلوصر" أن الشعب يعتقد أن للدراويش صلة ما بالله وأنهم لذلك أصحاب كرامات، فتستشيرهم النساء على وجه الخصوص في كل ما يتعلق بالأمراض الجنسية والحمل، وأن هؤلاء المرابطون يعدونهم في كل مرة بأنهم سيطلبون من الله في المناسبة القادمة. ويستحضر قصة الوباء الذي أصاب "قسنطينة" سنة 1834 حيث فسر أصحاب الكرامات هذا الوباء بأنه حشد من المسيحيين الذين يحومون في الجو بصورة غير منظورة بقصد تسميم المدينة ! فصدقهم الشعب وأخيرا خرج هؤلاء السذج في موكب كبير يطوفون بالمدينة وبأيديهم عصي طويلة راحوا يلوحون بها في اتجاه الكفار غير المرئيين، ويصيحون ويعوجون ويقومون بحركات كالجانين⁽³⁵⁾.

يبدو جليا من خلال هذه القصص التي أوردها "شلوصر" أن جهل عامة الناس قد وصل إلى حد الجنون، فكيف لهم تصديق هذه الخرافات التي يأتي بها هؤلاء الناس أما عن طبيعة الوباء الذي انتشر، فقد ذكر "أحمد باي" في مذكراته بأنه

الريح الأصفر أو الكوليرا هذا المرض الذي كاد يقضي على المدينة حيث مات في اليوم الأول ما يزيد عن 220 شخص وقد استمر مدة 17 يوما⁽³⁶⁾. لذلك لابد من التفريق بين رجال الدين الأتقياء الذين ارتبطوا بعبادة وطاعة الله حتى صاروا صالحين وبين الدراويش الذين يدعون أنهم أصحاب كرامات، فنجدهم يغرقون في الشعوذة والخرافة وإلا ما كانوا ليفسروا داء الكوليرا بأنه مجرد أرواح مسيحية تجوب في السماء، فهم يحسنون العزف على الأوتار الحساسة للشعب الذي يكره المسيحيين بسبب المآسي التي سببتها فرنسا. كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الفئات لا تزال موجودة في العالم العربي ولها جمهور عريض من الأشخاص الذين يصدقونها ويقدمونها !

يستمر "شلوصر" في سرد القصص التي تكرر عجائبية الشرق، مشيرا إلى النزاعات التي تحدث بين زوجات الرجل الواحد وتدفعهن إلى كتمان غيظهن والمساورة إلى الطالب الذي «يشكون إليه همومهن، فيكتب لهن حرزا، يحرقه ويسقين رماده الزوج الخائن أو يعلقنه عندهن أو عند الزوج ويكلفهن هذا الحرز قليلا من المال، وتروي النساء أنه قد أفادهن في عدة حالات.»⁽³⁷⁾ إن هذه التصرفات التي تنم عن الجهل وضعف الإيمان لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، فالكثير من النساء تلجأن إلى ما يصطلح عليه "الطالب" وكذا قبور الأولياء الصالحين، حيث تقدمن القرايين طمعا في السعادة أو إنجاب الأطفال أو الحصول على زوج وهو ما يدل على ضعف الوازع الديني في نفوس هؤلاء. ولا يستثنى من هذا الرجال لأن هذا الجنون قد حل بالكثير منهم أيضا !

ويرى "شلوصر" أن المرابطين في الجزائر نوعان ويتمثل النوع الأول في «أصحاب المساجد الذين تعلموا القرآن، فصاروا يعرفون القراءة والكتابة، ويعلمون الأطفال. أما النوع الثاني فيمثله رجال دراويش، يظلون في الهواء الطلق ليلا ونهارا كيفما كانت الأحوال الجوية ويحيون على طريقتهم الخاصة حياة صالحة»⁽³⁸⁾. إن ما جاء به

"شلوصر" قريب إلى الحقيقة خاصة ما تعلق بالنوع الأول وهم المتعبدون والأشخاص الزاهدون الذين تعلقوا بالعبادة، أما فيما تعلق بالنوع الثاني، فهم موجودون في مجتمعاتنا غير أن نمط معيشتهم يبعث الريبة والشك، فضلا عن هيئتهم ولباسهم المتسخ الذي يدفعنا إلى التساؤل عن سر البركة التي يُزعم أنهم يأتون بها؟

في حين يصف الأسير الفرنسي "تيدنا" الجزائريين بالأميين لأنهم انبهروا كثيرا بمكتبته الصغيرة المتنقلة، فالأهالي المحيطون به كانوا «يندهشون لرؤية كتب كثيرة. وفعلا فإنهم لم يروا قبلها مثلها إنهم شعب جاهل إلى حد أنه لا يوجد في معسكر وهي مدينة كبيرة نوعا ما، أكثر من 100 شخص يحسنون القراءة، وهذا الجهل يعطي احتراماً بسيطاً إلى كل من يعرف ولو حرفاً واحداً من القرآن، وينظر إليهم من بسطاء الشعب كقديسين». ⁽³⁹⁾ يبدو أن "تيدنا" يبالغ كثيراً وهو يحكم على أهل معسكر بالأميين، فوصف الجزائري بالأمي مجرد اندهاشه بالمكتبة الصغيرة المتنقلة التي صنعها "تيدنا" لنفسه مبالغاً وإجحافاً كبيراً في حقه. فالأسير الفرنسي حكم على الجزائريين بالجهل والامية انطلاقاً من المشهد الذي وثقه بمدينة معسكر، فتبني الرحالة للطابع التعميمي في تفسيره لمختلف الحوادث يؤكد على خضوعه لمكوناته الثقافية وخصوصيته المعرفية والإيديولوجية.

ويتحدث "تيدنا" عن البساطة والبدائية التي يعيشها الجزائري بنوع من التهكم والسخرية وهو يصف طبيعة لقاءاتهم مع بعضهم البعض قائلاً إنهم: «لا يعرفون استعمال الكراسي، فإنهم يجلسون حيثما تلاقوا ولو كان ذلك وسط الطرقات، هنا يتسامرون ولم تكن أحاديثهم - وهم يدخنون غليونهم ويمررونه من أحد إلى آخر - إلا حول خيولهم أو أشياء تدل على غباوتهم، فإذا سألت أحدهم مرة عن عمره أو سنة زواجه يقول دائماً بأنه ولد أيام حكم باي معين أو عندما كانت البناية المعينة تبنى. وإنه تزوج من زمن كذا أو كذا وهذا ما أكد لي تماماً جهلهم». ⁽⁴⁰⁾ إنه من الطبيعي

أن يتحدث أسير فرنسي عن الجزائري بهذه الطريقة، فظروف المعيشة في الجزائر تختلف كثيرا عن أوروبا التي قطعت أشواطاً طويلة في التقدم سواء ما تعلق بالصناعات والتنظيم الإداري مقارنة بالعالم العربي الذي ظل يعاني لسنوات طوال من الحروب التي حرمت شعوبه من التمدن؛ فضلاً عن اختلاف العادات والتقاليد العربية عن الأوروبية فـ"تبدنا" ينظر إلى الجزائري من منظور أوروبي قائم على الاستعلاء وتبخيس وتحقير كل ما هو غير أوروبي.

يحلينا النباش في كتب التاريخ إلى الكثير من الخطابات التي تنبع من التماذي في نزعة التفوق والتعالي الأوروبية⁽⁴¹⁾ التي لا ترى إلا نفسها في هذا العالم، كما أن مثل هذه الأفكار تنبع من شعور الأنا الأوروبي بالعظمة والهيمنة التي عادة ما يكون مسوغها «الرغبة في التفوق وضرورة أن يكون هنالك غالب ومغلوب، أو متفوق ومتخلف. فكل حضارة راقية تنشئ علاقة تراتبية أو هرمية تستبعد من خلالها ما عداها من الثقافات المهشمة لتنفرد بالتفوق والقوة في تجلياتها السياسية والعلمية والاقتصادية والعسكرية.»⁽⁴²⁾ فالرغبة الملحة في التفوق وهيمنة المركزية الأوروبية لا يتأتى إلا في مقابل الضعف والهوان الذي يميز الآخر - غير الأوروبي - سواء كان عربياً أم غير ذلك، فالعربي عاش دائماً في خيام بالية وبنائات هشة تحت وطأة الفقر والتخلف والهمجية وما تيسر من الصفات البشعة والمقززة⁽⁴³⁾.

يستمر "تبدنا" في تجسيد الجزائري في صورة الإنسان المتخلف والخرافي المتعلق بالسحر والشعوذة، إذ يعبر الأسير عن دهشته من الجهل الذي ألم بالجزائريين الذي كانوا يطلبون أن يكتب لهم تائم تساعد في قضاء حاجاتهم أو تحصين أنفسهم معتقدين أنه «رجل يمكنه تعويضهم في خرافاتهم بشكل أنهم كانوا يقدمون إليّ ويتوسلون لي في كل وقت حتى أقدم لهم بعض الكتابات التي تجعلهم محبوبين من امرأة أو من سيدهم، أو تجعلهم قادرين على تحدي طلقات البنادق. كنت أتسلى

لكل هذه المطالب التي تعلمني جيدا ببلادهم. والشيء الذي حيرني أكثر هو مشاهدة من بين هؤلاء الجاهلين، يوجد في بعض الأحيان أناس مستقيمون ولهم مناصب عالية، يأتون إليّ ويطلبون مني نفس الشيء.⁽⁴⁴⁾ إن هذه الصورة السوداوية التي رسمها "تيدنا" عن الآخر الجزائري في تلك الفترة لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، فهناك الكثير ممن يؤمنون بمثل هذه الخرافات ويستعينون بالدجالين والسحرة من أجل مساعدتهم في تحقيق ما عجزت أيديهم عن فعله، ولو كلفهم ذلك التعدي على الدين والفكر الإنساني السامي ولعل مرد ذلك فراغ ثقافي أكثر منه فراغ ديني.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يمكن إنكار ما جاء به الأسرى الأوروبيون، فالجزائري كغيره من الشرقيين يلجأ إلى السحر والشعوذة ويؤمن بالكثير من الخرافات، والمعتقدات الغربية، وغيرها من الأوهام التي تلقى رواجاً كبيراً في الشرق، ومع ذلك لا بد من الإشارة إلى أن «أدب الرحلة الغربي قد تمكن من تنميط الشرق والشرقيين، عبر رسم صور دنيا لهم، بواسطة مخيلة جائعة إلى السحري والأبوسي والعجائبي، فإن أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم، كما سيتضح من خلال نصوص هذه السلسلة، ركز، أساساً، على تتبع ملامح النهضة العلمية والصناعية، وتطور العمران، ومظاهر العصرية ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق...»⁽⁴⁵⁾ وهذا ما كرس صفة الغرائبية والاكزوتيكية المفرطة في هذه البقاع من العالم بسبب تركيز الإنسان الغربي على الصورة النمطية المندسة في فكره.

أخيراً لا بد من القول إن كتابات الأسرى - نماذج الدراسة - ساهمت إلى جانب كتابات الرحالة الأوروبيين في تجسيد الجزائر والجزائريين في صور مترنحة بين الواقع والخيال، حيث يتفق هؤلاء على:

- سحر وجمال طبيعة الجزائر. في حين صوروا العمران الجزائري في صورة منفرة بفعل هندستها المتعبة التي تسيء لثقافة الجزائريين، وتجدد الإشارة إلى أن تصوير العمران الجزائري في صورة العمران المهش وغير الجميل إنما سببها المنظور الأوروبي الذي نظر به الأسرى نماذج الدراسة للعمران الجزائري ونحن إذ نقول هذا الكلام لا ننكر واقعية الصور المنقولة.

- تصوير الجزائري في صورة الإنسان المتمرد والشجاع، فهي صورة أثبتتها التاريخ وشهد بها حتى العدو، فقد اعترف الكثير من الجنرالات الفرنسيين بشجاعة الجزائري وإقدامه وبأسه في القتال، هذه الشجاعة التي لازمت المرأة الجزائرية أيضا، فكانت أن حيرت الكثير من الرحالة الأوروبيين الذين اندهشوا من تمسكها بأرضها وبمشاركتها في مختلف المعارك إلى جانب الرجال.

- صورت مذكرات الأسرى - نماذج الدراسة - الجزائري اليهودي في صورة الخائن والماكر وهي صورة سلبية ستظل وصمة عار على جبين هؤلاء، وحتى لا تخرج هذه لدراسة عن إطارها الموضوعي لا بد من التذكير بأن الجزائري المسلم لم يتخلف أيضا في خيانة الجزائر.

- مثلت يوميات الأسرى الأوروبيين الحكام العثمانيين في صورة الحكام الغلاظ والهمجيين؛ واعتبرت تمرد الجزائريين عليهم أمرا طبيعيا.

- جسدت مذكرات الأسرى الجزائري في صورة الإنسان العجائبي الغارق في الخرافة والجنون وذلك بسبب تبني بعض الجزائريين لجملة من الأفكار الخرافية غير المنطقية وإيمانهم بترهات الدراويش والمشعوذين مما يساهم في تنميطة صورة الشرق على أنه عالم غرائبي تشيع فيه الخرافة والشعوذة والسحر...

- لا تخلو الصورة الثقافية للجزائري من التشويه بسبب التعصب في الرؤية انطلاقا من عقدة التفوق والمركزية عند الأوروبي، فتصورات الرحالة عن الآخر العربي كانت خاضعة لصور نمطية مترسبة في الذاكرة الجمعية للمجتمع الأوروبي، مما يلغي الإيمان بالتعدد الفكري، والثقافي، والديني... ومن ذلك ما ورد في بعض متون المذكرات -نماذج الدراسة- التي بالغت في تصوير الجزائري في صورة الجاهل والعجائبي وهي صورة مشابهة لما نقله الرحالة الأمير "بوكلر موسكاو" (Puckler-Muskau) و"غوستاف فلوبر" (Gustave Flaubert) وغيرهم بنسب متفاوتة، وقد كانت هذه الصورة واقعية كونها مرتبطة بالسياق الاستعماري، فليس من المنتظر البحث عن نقاء الصورة نقاء تاما في هذه النصوص الرحلية التي صورت الشرق، فلطالما أنتجت الذات الغربية صورا استعلائية لنفسها انطلاقا من العرق والدين لإشباع غاياتها التي تضرر الرغبة في التمرکز لإنتاج صورة نمطية دونية ومشوهة للآخر الشرقي.

الهوامش:

- (1) حسين محمود فهم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1989، ص: 08.
- (2) بيير جوردا. الرحلة إلى الشرق: رحلة الأدباء الفرنسيين إلى العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر. تر: مي عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2000، ص: 25.
- * شارل الخامس (Charles V): ملك إسبانيا (1516.1556). رأس الإمبراطورية الرومانية المقدسة (1519.1556). يُعتبر أحد أعظم الملوك في تاريخ إسبانيا كله. عن ويكيبيديا.
- (3) أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830.1855). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص: 25.
- * تيدنا (Thédnat): بحار فرنسي من عائلة كاثوليكية عملت أسرته منذ صباه على أن يكون رجل دين غير أنه كان يفر من الكنيسة ولم يجذأ أبدا حياة الرهبنة، ثم انضم بعد ذلك إلى فيلق الحامية العسكرية في كورسيكا غير أنه سئم مرة أخرى من العمل العسكري. وفضل العمل المدني الإداري حيث شغل وظيفة كاتب لوكيل مقاطعة. لكن حبه للسفر منعه من التعمير طويلا في

وظيفته لينتهي به الحال كعامل في نقل براميل الخمر من مالاقا إلى مارسيليا في سفينة إسبانية. وقع تيدنا تحت أسر بعض القراصنة الذين قاموا ببيعه إلى أن وصل إلى باي معسكر مُجد الكبير (باي معسكر) الذي مكث في قصره ثلاث سنوات وسبعة أشهر تدرج خلالها إلى أن عينه الباي كخزندار المكلف بالإشراف على كل الأموال. بمثابة وزير للمالية- لباي الغرب هذا المنصب الذي أعطاه جاها كبيرا في قصر الباي ومكنه من العيش بسلام وهناء. وعند عودة تيدنا قرر كتابة هذه المذكرات التي لم تنشر وظلت بالمكتبة الوطنية بباريس في قسم المخطوطات هذه المذكرات التي قدمها "مارسيل إمريت". ينظر: عميرايو احميدة. الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا). ص: 32، 33.

(4) ينظر: عميرايو احميدة. الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا). دار الهدى عين مليلة الجزائر، ط1، 2003، ص: 51.

* **فندلين شلوصر (Wendelin Schlosser):** ولد شلوصر بمدينة ايرفورت الألمانية من عائلة فقيرة أجبرته الظروف على ترك الدراسة في مرحلة الثانوية عمل بعد ذلك في المناجم إلى أن سافر إلى فرنسا وانضم إلى الفرقة الأجنبية لبحر معها إلى الجزائر في شهر جويلية 1831 بقي في العاصمة بضعة أشهر. وقع مع عدد من رفاقه في 12 أبريل 1832 بين أيدي رجال المقاومة الجزائرية وكان يتم بيعه بين فترة وأخرى إلى أن استقر به المقام بقصر أحمد باي كمملوك عاش هناك ما يقارب خمس سنوات عمل خلالها عدة أعمال كان آخرها توليه لمنصب المدفعي في جيش أحمد باي. عاد "شلوصر" إلى بلاده عقب احتلال قسنطينة ليصدر هذا الكتاب الذي بين أيدينا سنة 1839 حيث سماه (رحلات في البرازيل والجزائر أو مصائر فندلين شلوصر البومباجي السابق لأحمد باي قسنطينة). هذا الكتاب الذي قسمه صاحبه إلى جزء يتحدث عن ما عايشه في البرازيل بين 1827 و 1829 والجزء الثاني المعنون بـ: (الجزائر 1831 - 1837). ينظر: فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007، ص: 5، 6.

* أشار "ج.أو. هابنسترايت" إلى تحصين مدينة الجزائر نظرا للحروب الكثيرة التي كانت تخوضها قبالة البحر الأبيض المتوسط فقد كانت تدافع عنها من الجهة البرية أربعة حصون وهي حصن الإمبراطور والبرج الجديد و برج عزون و برج باب الوادي، والمدينة في حد ذاتها تعتبر محصنة جدا

نظرا للأسوار والخنادق التي تحيط بها. ينظر: ج.أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، دت، ص: 36.

(5) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 14.

(6) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 11.

* **سيمون بفايفر (Simon-Frédéric Pfeiffer)**: ولد "سيمون بفايفر" براينهيسن حوالي 1810، ولما بلغ السادسة من عمره فقد والديه، وفي الثالثة عشرة شعر "بفايفر" بميل شديد إلى فن الجراحة فأقبل على دراسته بجموية ونشاط كبيرين مظهرا تقدما ملحوظا. سافر إلى هولندا بحثا عن السعادة، وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره حيث التحق بمدرسة بحرية راسية تضم عددا من التلاميذ البحريين والملاحيين والضباط وكذا الأطباء من أجل التعود على حياة البحر. وفي شهر ديسمبر 1824 صدرت أوامر بمغادرة الميناء فتوجهت السفينة (ديانا) التي كانت تقل على ظهرها بفايفر ورفاقه إلى البحر الأبيض المتوسط من أجل حماية السفن التجارية من هجمات القراصنة، وقد كادت السفينة تغرق بسبب تعرضها إلى عاصفة هوجاء فمرت بعدة موانئ إلى أن رست بـ "أزمير" التركية، ثم اتجهت بعد ذلك إلى ميناء "أورله" أين نزل بفايفر مع مرضاه وكان يقضي معظم وقته في العناية بهم. وفي يوم من أيام شهر جويلية من سنة 1825 خارج بفايفر رفقة عدد من أصدقائه للتنزه في إحدى غابات "أورله" فتعرضت لهم فرقت من الإنكشاريين الذين نهبوا كل ما لديهم وقتلوا أحد رفاق بفايفر الذي أراد مقاومتهم كما تعرض بفايفر لإصابة بسيف أحد الإنكشاريين ومن ثم قاموا باقتياده ومن معه عبر تلك الغابة إلى أن وصلوا إلى ميناء أزمير حيث قاموا باحتجازهم في سفينة شرعية ذات صاريتين، مزودة بستة مدافع، لا تتجاوز حملاتها مائة وثمانين رجلا. وكان قائدها مارقا إنجليزيا. اتجهت السفينة المحملة بالأسرى إلى الجزائر وقد استغرق وصولها خمسة وعشرين يوما، حيث قدر لبفايفر أن يعمل طاهيا في قصر الخزانجي. غير أنه سرعان ما صار طبيبا خاصا للخزانجي وذلك بعد أن نجح بفايفر في علاجه لما مرضه، وقد بقي بفايفر يعمل كطبيب في القصر إلى أن أطلق سراحه قبل مدة قصيرة من دخول الفرنسيين. اشتغل "بفايفر" بعد ذلك خازن دار لباي التيطري مصطفى بومرزاق لمدة أسبوعين وذلك عقب إعلان الباي محاربة فرنسا ليقدر بفايفر التخلي عن منصبه والعودة إلى وطنه في 16 ديسمبر 1830 ليتم دراسة فن الجراحة التي تعلق بها منذ

الصغر، وقد كتب بفايفر عن تجاربه عن في الجزائر بطلب من العالم اللغوي الألماني "شميتهير" الذي كتب مقدمة كتابه فنوه بدقة ملاحظات بفايفر، وجدة المعلومات التي قدمها عن الجزائر. ينظر: سيمون بفايفر. مذكرات أو لحظة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص: 04، 05.

- (7) سيمون بفايفر. مذكرات أو لحظة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، ص: 13.
- (8) المرجع نفسه، ص: 14
- (9) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 97.
- (10) سيمون بفايفر. مذكرات أو لحظة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، ص: 127.
- (11) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 65.
- (12) المرجع نفسه، ص: 57.
- * لقد أورد الباي "أحمد" هذه الرواية في مذكراته من أن هؤلاء الخونة عقدوا مجلسا حربيا أثناء هجوم الفرنسيين وأن شيخ البلد قد أشار بالاستسلام ورفع العلم الفرنسي فوق المسجد الأعظم وأن هذا تم بمشاركة كل معارضي أحمد باي في هذه المكيدة. حيث يشير الباي إلى إعدامه للعربي مرابط أما الشيخ، فقد اكتفى بتذكيره بمدى خطورة الخطأ الذي ارتكبه وأنه لولا تقديره له لكان مصيره هو الآخر الإعدام. ينظر: أحمد باي. مذكرات أحمد باي. تر: الزبير، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص: 57-59.
- (13) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 56.
- (14) سيمون بفايفر. مذكرات أو لحظة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، ص: 64، 65.
- (15) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 24.
- (16) جون بول سارتر. عارنا في الجزائر. تر: عايدة وسهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، ط02، 1958، ص: 24.
- (17) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 24.
- (18) المرجع نفسه، ص: 23.
- (19) محمد شوقي الزين. الذات والآخر (تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع). منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص: 63.
- (20) سيمون بفايفر. مذكرات أو لحظة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، ص: 94.

(21) المرجع نفسه، ص: 131.

* لا بدّ من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي تشريع السلطات العثمانية بفتح دور للبغاء يشرف عليها المزوار هذا الشخص الذي يسمح له باستقدام بغايا من كل مكان والتوجه بهن إلى أي مكان من أجل إحياء حفل أو ما شابه ذلك على أن يدفع مقابل نشاطه ضرائب للسلطات العثمانية، وهذا ما يسهم في تهديم قيم المجتمع، كما تجدر الإشارة إلى أن فرنسا سمحت باستمرار دور البغي في العمل بعد بسط نفوذها على الجزائر. ينظر: عبد الحميد الأركش. «البغاء: قطاع هامشي، منظم ومُقنن مؤسّسة "مزوار"». تر: مُجد أسليم، موقع: أسليم نت: <http://aslimnet.free.fr/>, 2020.12.26, 19:18 سا.

* أشارت الكثير من كتب التاريخ والرحلات إلى فرحة الكثير من اليهود بالاحتلال الفرنسي، حيث خرج يهود العاصمة ورددوا "فيفا لا فرنسيس" وأهانوا المسلمين، وهذا ما أثبتته "شلوصر" في رحلته.

(22) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 82.

(23) سيمون بفايفر. مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، ص: 98.

(24) المرجع نفسه، ص: 109.

(25) علي مُجد مُجد الصلابي. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى). دار المعرفة، بيروت، 2015، ص: 297.

(26) سيمون بفايفر. مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، ص: 109، 277.

(27) للتوسع أكثر ينظر: فوزي سعد الله. يهود الجزائر هؤلاء المجهولون. شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 2004، ص 194.

(28) ينظر: المرجع نفسه. ص: 191.

(29) سيمون بفايفر. مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، ص: 74.

(30) فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر: أبو العيد دودو، ص: 51.

* بدأت الخلافات بين الباي أحمد ومصطفى بومرزاق (باي التيطري) عندما احتلت مدينة الجزائر ولم يجد باي التيطري سبيلا للعمل مع الفرنسيين مقابل الاعتراف به وتركه في منصبه وعندما عجز على ذلك عين نفسه باشا وراسل الباي أحمد يطالبه بطاعته ودفع اللازمة له غير

أن الباي رفض الانصياع لباي في مقامه وقال أن الفيصل بيننا هو البارود. وهذا ما جعل بومرزاق يعلن عزل الباي أحمد وتعيين إبراهيم الذي كان بابا سابقا على قسنطينة مكانه ولكي تنجح هذه الخطة تحالف إبراهيم مع فرحات بن سعيد الذي عينه شيخا للعرب. غير أن الباي هزمهما في المعركة التي دارت بينهم واضطر هؤلاء المتمردون إلى الفرار. ينظر: أحمد باي. مذكرات أحمد باي. تر: مُجد العربي الزبيري، ص: 25-26.

(31) ينظر: أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830. ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998. ص: 15.

(32) عميرواي احميدة. الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا). ص: 84، 85.

(33) الطاهر أحمد الزاوي. ولاية طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد الترك. دار الفتح للطباعة والنشر. بيروت، ط1، 1970، ص: 266.

(34) اعترف الحاج أحمد باي أنه كان على استعداد للتفاوض مع الجيش الفرنسي والاحتفاظ بمرتبه كباي، ولكن عندما رأى أنهم جاءوا بباي ليستبدلوني ويهينونه بعد اختيارهم لمملوك من تونس، حينها لم يجد سبيلا غير المقاومة النشيطة... للتوسع ينظر: علي مُجد مُجد الصلابي. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى). ص: 431.

(35) فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر: أبو العيد دودو، ص: 84.

(36) ينظر: مذكرات أحمد باي. تر: مُجد العربي الزبيري. ص: 39.

(37) فندلين شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، ص: 94.

(38) المرجع نفسه، ص: 84.

(39) عميرواي احميدة. الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا). ص: 83، 82.

(40) المرجع نفسه، ص: 92.

(41) خطاب البريطاني "آرثر جيمس بلفور" (Arthur J.B) في خطابه الذي ألقاه في 13 يونيو عام 1910، مبررا احتلال مصر بمعرفة الإنجليز بمصر وأحوالها وتاريخها وحضارتها، وضرورة احتلال إنجلترا لمصر تنبع من معرفة بلفور والإنجليز بتاريخ هذا البلد. ينظر: عبد العليم

نُجَّد. «أوروبا الاستعمارية كيف رأت الآخر؟». مجلة العربي، الكويت، العدد 529، الأحد 01 ديسمبر 2002.

(42) نُجَّد شوقي الزين. الذات والآخر: تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012، ص: 09.

(43) إن هذه الصور التي عادة ما تتعارض مع الواقع كثيرا ما تستلهم أولئك الذين ساندوا الاستعمار وروجوا له من خلال كتاباتهم، وهذا ما نجده في كثير من المذكرات التي دوَّنها القادة العسكريين الذين يعتمدون إلى تصوير الآخر العربي بالتخلف، والدونية، والهمجية، والكثير من الصفات الدنيئة التي تنم عن نظرة استعمارية استعلائية لا تؤمن أبدا بالمنطق أو الموضوعية. ومن ذلك ما أورده الضابط الفرنسي جوزيف ماري مواريه (Joseph. M.M) الذي شارك في الحملة الفرنسية على مصر وأصر على تصوير البدو على أنه «ليس لهؤلاء البدو من مهنة إلا السرقة والنهب والقتل وقطع الطريق». ينظر: جوزيف ماري مواريه. مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر. تر: كميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص: 31.

(44) عميرايو حميدة. الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، ص: 83.

(45) خالد التوزاني. الرحلة وفتنة العجيب... بين الكتابة والتلقي. دار السويد للنشر والتوزيع، أبوظبي، ط1، 2017، ص: 08.

قائمة المراجع:

- أبو العيد دودو. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830. ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.
- أحمد باي. مذكرات أحمد باي. تر: الزيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- بيير جوردا. الرحلة إلى الشرق: رحلة الأدباء الفرنسيين إلى العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر. تر: مي عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2000.

- ج.أو.هابنسترايت. رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، دت.
- جوزيف ماري مواريه. مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر. تر: كميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
- جون بول سارتر. عارنا في الجزائر. تر: عائدة وسهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، ط02، 1958.
- حسين محمود فهم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1989.
- سيمون بفايفر. مذكرات أو لمحّة تاريخية عن الجزائر. تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- الطاهر أحمد الزاوي. ولاية طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد الترك. دار الفتح للطباعة والنشر. بيروت، ط1، 1970.
- علي مُحمّد مُحمّد الصلاحي. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر (تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى). دار المعرفة، بيروت، 2015.
- عميرايو حميدة. الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا). دار الهدى عين مليلة الجزائر، ط1، 2003.
- فنديلن شلوصر. قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837. تر: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007.
- فوزي سعد الله. يهود الجزائر هؤلاء المجهولون. شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط2، 2004.
- مجلة العربي، الكويت، العدد 529، الأحد 01 ديسمبر 2002 .
- مُحمّد شوقي الزين. الذات والآخر: تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2012.
- جوزيف ماري مواريه. مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر. تر: كميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.
- خالد التوزاني. الرحلة وفتنة العجيب... بين الكتابة والتلقي. دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، ط1، 2017.

موقع: أسليم نت: <http://aslimnet.free.fr/>

List of references:

- Abu aleid dudu. Al jazayir fi mualafat al rahalayn al'alman (1855.1830). a'sharika alwatanian li'nashr wa'tawziei, al jazayir, 1975.
- Abu al qasim saad-allah. tarikh al jazayir a'thaqafi 1500-1830. J.1, dar al gharb al'islami, beirut, t.1, 1998.
- Ahmed bay. mudhakirat ahmed bay. tar: a'zubayri, a'sharika alwatanian li'nashr wa'tawziei, al jazayir, t.2, 1981.
- Pier jurda. A'rihla ilaa a'sharq: rihla al'udaba' al faransiyn 'ilaa alealam al'islami fi al qarn a'tasie eashr. tar: may abd al karim, al'ahali li'tibaeat wa'nashr wa'tawziei, syria, t.1, 2000.
- J.'aw.habinistrayt. rihlat al alam al'almani j.'aw.habinistrayt 'ilaa aljazayir wa tunis wa tarabulus, tar: nasir aldin saeiduni, dar algharb al'islami, tunis, t.1, dt.
- Juzif marie mawarih. mudhakirat dabit fi alhamlat alfaransia ala masr. tar: kamilya subhi, almajlis al'aelaa li'thaqafa, al qahira, 2000.
- John paul sartr. aruna fi al jazayir. tar: ayidat wa suhayl 'idris, dar aladab, beirut, ta02, 1958.
- Husein mahmud fahim, 'adab a'rahalat, alam al maerifa, Al-Kuweit, d.t, 1989.
- Simun bfayfar. mudhakirat 'aw lamhat tarikhia ean al jazayir. tar: 'abu aleid dudu, alsharika alwatanian li'nashr wa'tawziei, aljazayir, 1974.
- A'tahir ahmed a'zawi. wulat tarabuls min bidayat alfath ila nihayat aleahd alturki. dar alfath liltibaeat wa'nashr. bayrut, ta1, 1970.
- Ali muhamad muhamad a'salabi. kifah a'shaeb aljazayiri dhida al ihtilal al faransi wa sirat al'amir abd al qadir (tarikh aljazayir ila ma qabl alharb aleamiliat al'ula). dar al maerifa, beirut, 2015.
- Amirawi ahmida. aljazayir fi adabiat alrihla walAsr khilal aleahd al euthmani (mudhakirat tidna 'unmudhajan).dar al huda ein m'lila al jazayir, t.1, 2003.
- Findlin shlusar. qasantina ayam Ahmad bay 1832-1837. tar: Abu al eid dudu, wizarat a'thaqafa al jazayiria,2007.

-
- Fawzi saad allah. yahud al jazayir ha'ula' al majhulun. sharikat dar al'uma li'tibaeat wa'nashr, aljazayir, t.2, 2004.
 - Majalat al arabi, al Kuwait, al adad 952, al'ahad 01 disambir 2002 .
 - Muhamad shawqi a'ziyn. A'dhaat wal akhar (ta'amulat mu'asira fi al aql wa'siyasa walwaqiei). manshurat al ikhtilaf, aljazayir, t.1, 2012.
 - Juzif marie mawarihi. mudhakhirat dabit fi alhamla al faransia ala masr. tar: kamilya subhi, al majlis al'aela li'thaqafa, al qahira, 2000.
 - Khalid a'tuwzani. A'rihlat wa fitnat al ajib... bayna al kitaba wa'ttalaqi. dar a'siwidi li'nashr wa'tawziei, Abu dhabi, t.1, 2017.
- mawqie: a salim nit: <http://aslimnet.free.fr/>